رحلة الحياة

في اختصار العاقبة

في ذكر الموت والآخرة

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

الطبعة الثانية

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م



الكويت - شارع الصحافة - مقابل مطابع الرأي العام التجارية
هاتف: ٢٤٨١٩٠٣٧ - فاكس ٢٤٨٣٨٤٩٥
الكويت - الخالدية: ص. ب: ١٧٠١٢ - الرمز البريدي: ٧٢٤٥١
Website: www. gheras. com
E-Mail: info@ gheras. com

رحلة الحياة

في اختصار العاقبة في ذكر الموت والآخرة

للعلامة

عبد الحق الإشبيلي

تأليف

عادل عباس

غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات
والمسلمين والمسلمات آمين!!

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قصة الكتاب

في عام ١٩٩١م التقيت بالشيخ الفاضل/ خالد الحربي في ديوان محمد العجمي، وكان الشيخ يقرأ من كتاب وعظي، وكانت كلمات الكتاب جميلة ومؤثرة فما أن انتهى الشيخ من المحاضرة حتىٰ طلبت منه الكتاب فإذا هو بعنوان العاقبة في ذكر الموت والآخرة للمحدث العلامة/ عبد الحق الإشبيلي رحمه الله، فاشتريت الكتاب وقرأته فوجدته من أمتع الكتب المؤلفة في باب الموت والآخرة ولقد أثّر فيَّ الكتاب تأثيراً كبيراً ومن ذلك الحين بدأت أحفظ الكتاب ثم اختصرته وطرحت مادته في محاضرات وندوات ودروس وخطب في الدواوين والمساجد والقنوات والإذاعات وها هو الآن يخرج في كتاب صغير اختصرت فيه مادة الكتاب مع إيراد زيادات في ذكر الجنة ونعيمها وأسباب عذاب القبر والنجاة من عذاب القبر وأمور أخرىٰ لم يذكرها المؤلف رحمه الله وممّا زاد في حبي للكتاب أنه كان السبب بعد الله في تطور علاقتي بشيخنا الفاضل خالد الحربي وذلك بعد اللقاء الثاني بشيخنا الفاضل عام ١٩٩١

وما زلت إلى هذا اليوم التقي بشيخنا الفاضل الذي تعلمت منه العلم والأدب والأخلاق وأسأل الله أن يمتّعه بطول العمر مع حسن العمل وأن يجزيه خير الجزاء على ما أفادنا وأفاد المسلمين من علمه وأدبه وأخلاقه ولا يفوتني أن أشكر أخي الشيخ/ مطلق الجاسر الذي قرأ أكثر الكتاب ودوّن ملاحظاته الدقيقة والقيّمة والتي أفادتني كثيراً وكذلك الشكر موصول للشيخ عادل المرشود الذي قام بتحقيق الجزء الأكبر من أحاديث الكتاب وأخي/ أبي هاجر الذي صحح بعضاً من الأحاديث وراجع الكتاب عدة مرات في مطبعة غراس التي أسأل الله أن يجزيها خير الجزاء علىٰ خدمتها للإسلام والمسلمين.

وأخصُ بالشكر إدارة مساجد محافظة مبارك الكبير - المراقبة الثقافية .

والشكر موصل للجنة العلمية في جمعية إحياء التراث الإسلامي التي راجعت الكتاب كاملًا وأبدت ملاحظات قيمة.

والله أسأل أن يكون في موازينهم، وأن يبارك بهذا الكتاب وينفع به من قرأه. وأن يدعو لي بدعوة صالحة خالصة.

كتبه عادل بن عباس

❊ ❊ ❊

المقدمة

الحمد لله الذي أذل بالموت رقابَ الجبابرة وكَسرَ بصدمته ظهورَ الأكاسرة أرسل عليهم ربُكْ جُنودَه العاتية وأخذهم أخذتَه الرابية وسلك بهم مسلك الأمم الخالية والقرونِ الماضية نقلهم من أنوار القصور إلى ظلمة القبور فهل تحس منهم من أحد أو هل ترى لهم من باقية:

حدّث حديث القوم من فارس ومن بني قبط ويونان
ومن بني الأصفر أعجب بهم وسيد الأتراك خاقان
والأقدمين الأعظمين الأُلىٰ من حمير أبناء قحطان
من تُبَّع العرب ومن قيصرِ الروم وكسرى آل ساسان
من كل قرم شامخ أنفه وكل فرعون وهامان
انظر إليهم هل ترى منهم غير أحاديث بأفنان
وانظر إلى الموت وأعماله فيهم ترى الهلك ببرهان
وأبصر القوم وماذا لقوا بالموت من ذل وخسران

فسبحان من تفرد بالعز والكبرياء وتوحد بالديمومة والبقاء وطوّق عباده بطوق الفناء وفرقهم بما كتب عليهم من السعادة والشقاءِ وجعل الموت مخلّصاً لأوليائه

السعداء ومهلكاً لأعدائه الأشقياء وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحابته الأكرمين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الموت أمرٌ كُبّار لمن أنجد وأغار وكأسٌ تدار فيمن أقام أو سار وباب تسوقُك إليه يد الأقدار ويزعجك فيه حكم الاضطرارِ ويخرجُ بك إما إلى الجنة وإما إلى النار.

خبر عَلِم الله يصم الأسماءَ ويغيّر الطباع ويكثرُ من الآلام والأوجاع.

قال مطرف بن الشخير: إن هذا الموت نغّص على أهل الدنيا معايشهم... فاطلبوا نعيماً لا موت فيه.

❊ ❊ ❊

أصناف الناس في ذكر الموت

والناس في ذكر الموت على أصناف، منهم المنهمك في اللذات والمثابر على الشهوات المضيعُ للأوقات لا يخطر الموت له على بال ولا يحدث نفسَّه بزوال قد نسي أخراه وأكب على دنياه واتخذ إلهه هواه فأصمّه ذلك وأعماه وأهلكه وأرداه فإن ذُكّر بالموتِ نفر وشرد وإن وُعظ أنف وبَعدُ فأقبلَ على بطنه وفرجه ألم يسمع قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وألم يسمع قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٨].

وألم يسمع قول القائل:

إن كؤوس الموت بين الورى دائرةٌ قد حثها السير
وقد تيقنتَ وإن أبطأتَ أنْ سوف يأتيك الدور

ولا قول القائل:

فر من الموت أو اثبت له　لا بد من أنك تلقاه
واكتب بهذي الدار ما شئته　فإن في تلك ستقراه

ولكن البشر بطبيعة الحال يكرهون الموت لأنه أمرٌ شديدٌ وخطبٌ مهول، كيف لا. والله ﷻ سمّاه مصيبة ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾ [المائدة: ١٠٦].

- **قال الداراني لأم هارون العابدة:** أتحبين أن تموتي؟ قالت لا.
  قال ولم؟ قالت: والله لو عصيتُ مخلوقاً لكرهت لقاءه فكيف بالخالق جلّ جلاله.
- **قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم:** مالنا نكره الموت؟ قال: لأنكم عمرتم دنياكم وخربتم أخراكم.
- **قال أبو سليمان الداراني الناس رجلان:** رجل أحب الله فأحب الموت اشتياقاً إلى الله، ورجل أحب البقاءَ لإقامة حق الله بالقيام بطاعته واجتناب معصيته والتوبة على ذنوبه.

فالموت والله هو الخطبُ الأفظَعُ والأمرُ الأشنع والكأس التي طعمها أكرهُ وأبشعُ وإنه الحادث الهادم للذات والأقطع للراحات والأجلبُ للكريهات وإن أمراً

يقطّع أوصالَك ويفرّق أعضاءَك ويهد أركانَك لهو الأمرُ العظيم والخطبُ الجسيم وإن يومه لهو اليومُ العظيمُ ففي ذلك اليوم يقوم أحبُ الناس إليك وأرحمهُم بك وأعطفُهم عليك فيقذفك في حفرة من الأرض قريبةٍ أنحاؤها مظلمةٍ أرجاؤها محكم عليك حجرُها وصيدانها متحكم فيك هوامها وديدانها ثم بعد ذلك يتمكن منك الإعدامُ وتختلط بالرغام(١) وتصير تراباً تطؤه الأقدام.

ويحكى أن رجلين كانا قد تنازعا واختصما في أرض بينهما، فأنطق الله لبنة في حائط في تلك الأرض فقالت يا هذان: كنت ملكاً كذا وكذا ثم مِتُّ وصرت تراباً فبقيت كذلك ألف سنة ثم أخذني خزاف فجعلني إناءً فاستُعملتُ حتى تكسرتُ ثم عدتُ تراباً فبقيت ألف سنة ثم أخذني رجل فضرب مني لبنة فجعلني في هذا الحائط ففيما تنازعكما؟ وفيما تخاصمكما؟ هذا كلُه بالجسد وأما الروح فعليها المدار وبها يتنعم الأبرار ويعذب الفجار.

وقد قال ﷺ «**أكثروا ذكر هادم اللذات الموت**»(٢).

---

(١) التراب.

(٢) رواه الترمذي (٢٤٦٠) والنسائي (١٩٥٠) وعنده: هادم

- خرج ﷺ على الصحابة يوماً فرآهم يضحكون فقال: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيراً**»[(١)].
- ويروى أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ «**عش ما شئت فإنك ميت وأحببْ من شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجزئٌ به**»[(٢)].
- **قال أبو الدرداء**: من أكثر ذكر الموت قل فرحه وقل حسده.
- **وقال أصحاب الحسن**: كنا ندخل عليه وما هو إلا النار والقيامة والآخرة وذكر الموت.
- **وقال التيمي**: شيئان قطعا عني لذاذة الدنيا ذكر الموت وذكر الوقوف بين يدي الله.
- **وكان ابن سيرين**: إذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه على حدته.
- **وكان يزيد الرقاشي يقول**: يا من الموتُ موعده والقبر بيته والثرى فراشه والدود أنيسه وينتظره الفزع الأكبر كيف يكون حاله ثم يبكي حتى يسقط مغشياً عليه.

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٢٣٧٩).
(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٥/ ١١٩ رقم ٤٨٤٥) والمعجم الصغير ٢/ ٢٠، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٤٨٣ رقم ٨٣١)

- ويروى أن عيسى عليه السلام كان إذا ذُكِر عنده الموت والقيامة يقطر جسده دماً.

- وكان عمر بن عبد العزيز يجمع الفقهاء ويتذاكرون الموت، والقيامة، والآخرة:

يا باكياً من خيفة الموت أصبت فارفع مدى الصوت
وناد يا لهفي على فسحةٍ في العمر فاتت أي فوت
ضيعتُها ظالم نفسي ولم أصغِ إلى موت ولا ميْت
ياليتها عادت وهيهات أن يعود ما قد فات ياليت
فخل عن هذي الأماني ودع خوضَك في هات وفي هيْت
وبادر الأمرَ فما غائب أسرع إتياناً من الموت
كم شائدِ بيتاً ليَغْنَىٰ به مات ولم يفرغ من البيت

واعلم أن كثرة ذكر الموت تردع عن المعاصي وتلين القلب القاسي وتذهب الفرح بالدنيا وتهون المصائب فيها وإن لم يَخَفْه في هذه الدار ربما تمناه في الآخرة فلا يؤتاه. وسأل فيها فلا يعطاه: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

- كتب رجل إلى بعض إخوانه يا أخي: (احذر الموت في هذه الدار من قبل أن تصير إلى دار تتمنى الموت فيها

فلا يوجد ويُطلب فيها فلا يُدرك).

- واشتكت امرأة إلى عائشة ﵂ قساوة في قلبها فقالت لها أكثري من ذكر الموت يرق قلبُك ففعلت فرّق قلبُها.
- **وقال الحسن**: فضح الدنيا والله هذا الموتُ فلم يترك لذي لبٍ فرحاً وقال: ما رأيت عاقلًا قط إلا وجدتهُ حذراً من الموت حزيناً من أجله.
- **وقال كعب**: من ذكر الموتَ هانت عليه المصائبُ.
- **وقال حامد اللّفاف**: ويح ابن آدم إن أمامه ثلاثةُ أشياء موتُ كريه المذاق ونار أليمةُ العذاب وجنةٌ عظيمة الثواب.
- واعلم أن الموت لن يمنعه منك مانع ولا يدفعه عنك دافع وإن فيه زجراً للَّبيب وشغلًا للأريب ومنبهة للنائم وتنشيطاً للمستيقظ وهو المُغيرُ الذي يبعث الطليعة ويعّجلُ الرجعة ويسبقُ النذير العريان لا يرده الباب الشديد ولا البرج المشيد ولا البلد البعيد.
- واعلم أن مشاهدة حال الميت وسكراته ونزعاته وتأَمُل صورته بعد مماته ما يقطع عن النفوس لذاتها ويطرد عن القلوب مسّراتها ويمنع الأجفان من النوم والأبدان من الراحة ويبعث على العمل ويزيد في الاجتهاد والتعب.

- يروى أن الحسن دخل على رجل في سكرات الموت فرأى حاله فلما رجع إلى البيت قرّبوا له طعامه فردّه وقال: رأيت مصرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه.
- **وقال بعض العلماء**: أيُ عيش يطيب وليس للموت طبيب.
- **وقال بعض الزهاد**: لنا من كل ميت عظة بحاله وعبرة بماله.
- **وقال ابن مسعود**: كفى بالموت واعظاً وباليقين غنىً وبالعبادة شغلًا.
- وليعلم المسلم أن الموت وإن كان هو المصيبة العظمى والرزية الكبرى فأعظم منه الغفلة عنه والإعراض عن ذكره، وقلة التفكر فيه، وترك العمل له، وإنّ فيه لوحده عبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر.

وفي الأثر لو أن البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينا.

قال ابن السماك: إن الموتى لم يتحسروا من الموت ولكن من حسرة الفوت فاتت والله دار لم يتزودوا منها ودخلوا داراً لم يتزودوا لها فأي ساعةٍ مرت على من مضى وأية ساعة بقيت علينا والله إن المتفكّر في هذا لجدير أن يترك الأوطان ويهجر الخلان ويدع ما عزّ وهان.

- والذي يمنع ذكر الموت كثرة الاشتغال بالدنيا والميل إليها.

واعلم رحمك الله أن مما يعينك على الفكرة في الموت ويفرغك له ويكثر اشتغالك به تذكر من مضى من إخوانك وخلانك وأصحابك وأقرانك الذين مضوا قبلك وتقدموا أمامك كانوا يحرصون حرصك ويسعون سعيك ويؤملون أملك ويعملون في هذه الدنيا عملك فقصمت المنون أعناقهم وقلعت أعراقهم وقصَمت أصلابهم وفجعت فيهم أهليهم وأحبابهم فأصبحوا آية للمتوسمين وعبرة للمعتبرين.



طول الأمل

انظر إلى كل ما تحبه من الدنيا من ولد أو أهل أو جاه أو غير ذلك فاعلم أنه لا بد لك من مفارقته إما في الحياة أو في الممات سُنَّةُ الله الجارية وحكمه المطرّد نظر رجل إلى ابنٍ له صغير يمشي بين يديه فأعجبه حسنُه وألهتُهُ حركتهُ فقال يا بُني لولا الموت لعلّقتُ قلبي بك ولأكثرت من حبي لك ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٤]

قال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ للنبي ﷺ «**أحببْ من شئت فإنك مفارقهُ**»(١).

ونظر ابنُ مطيع يوماً إلى داره فأعجبه حسنُها فبكى ثم قال والله لولا الموت لكنتُ بك مسروراً ولولا ما أصير إليه من ضيق القبر لقرّت عيني بك ثم بكى حتى ارتفع بكاؤه وعلا نحيبُه.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٥/ ١١٩) رقم ٤٨٤٥، والمعجم الصغير ٢/ ٢٠، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٤٨٣ رقم ٨٣١)

واعلم أن طول الأمل داء عضال ومرض مزمن ومتى تمكن من القلب فسد مزاجُه واشتد علاجُه ولم يفارقْه داءٌ ولا نجع فيه دواء بل أعيا الأطباء ويئس من برئه الحكماء والعلماء قال الله تعالى ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣].

وقال ﷺ: «**لا يزال قلب الكبير شابا في اثنتين في حب الدنيا وطول الأمل**»(١).

- مرّ النبي ﷺ على رجل يصلحُ خوصًا له فسأله عنه فقال الرجل: خُصٌ نصلُحه فقال ﷺ: «**ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك**»(٢). كان الإمام أحمد يلبس نعليه ويرقعها ولم يغيّرها أكثر من عشر سنين فسألوه عن ذلك فقال نعال دون نعال وطعام دون طعام وإنها لحياة يسيرة.

قال عمر لما جاءه رجل يشتكي من تقصير زوجته فسمع زوجة عمر تصيح عليه فقال عمر إنها صانعةٌ لطعامي غاسلةٌ لثيابي مربيةٌ لأولادي وإنها لفترةٌ قصيرة.

وخطب علي فقال: ألا وإن الدنيا قد أَدْبَرتْ بوداع وإن

---

(١) رواه البخاري (٦٠٥٧).

(٢) رواه أبو داود، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحه.

الآخرة قد أقبلت وآذنت باطلاع ألا وإن المضمار اليوم والسباق غداً ألا وإن السبقة الجنةُ والغاية الموتُ ألا وإنك في أيام مهل ومن ورائه أجل يحثه عجل فمن عمل في أيام مُهلهِ قبل حضورِ أجلِه نفعه عملُه ولم يضره أملُه ومن لم يعمل في أيام مُهلِه قبل حضور أجلِه ضره أملُه وساءه عمله.

وقال: ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرةً وإن الآخرة قد أشرفت مقبلةً وإن لكل واحدةٍ منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ألا وإن اليوم عملٌ ولا حساب وغداً حسابُ ولا عمل ألا وإن من أشد ما أخافُ عليكم خصلتين طول الأمل واتباع الهوى أما طول الأمل فإنه يُنسي الآخرةَ وأما اتباعُ الهوى فإنه يصدُ عن سبيل الله.

وقال سلمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ثلاثٌ أعجبتني حتى أضحكتني وثلاثٌ أحزنتني حتى أبكتني:

أما الثلاثُ الأول: فمؤملُ دنيا والموتُ يطلبُه، وغافلٌ ليس بمغفول عنه وضاحكٌ ملءَ فيه ولا يدري أساخط عليه رب العالمين أم راضٍ عنه.

أما الثلاث التي أحزنتني حتى أبكتني: ففراق محمد ﷺ

وصحبه وفراق الأحبة والوقوف بين يدي الله تعالى ولا أدري أيؤمر بي إلى الجنة أم إلى النار.

- قيل للربيع بن خثيم رَحِمَهُ اللَّهُ كيف أصبحت؟ فقال كيف يصبحُ رجلٌ إذا أصبح لا يدري أنه يمسي وإذا أمسى لا يدري أنه يصبح.

وقد قال النبي ﷺ لابن عمر: «**كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل وعُدّ نفسك من أهل القبور**»[(١)].

وكان ابن عمر يقول: إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وخذ من حياتك لموتك ومن غناك لفقرك ومن صحتك لسقمك فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمُك غداً.

وقال بعض الحكماء في موعظة له: كلُّنا يتيقن الموت وما نرى له مستعداً وكلُنّا يؤمنُ بالجنة وما نرى لها مّنا عاملًا وكُلنا يتيقن النار وما نرى لها منّا خائفاً فعلام تعرجّون وما عسى تنتظرون وماذا ترجون أو ماذا تأملونه الموت أولُ قادم يقدمُ عليكم بخيرٍ أو شر فيا إخوتا سيروا سيراً جميلًا.

---

(١) رواه البخاري ٥/٢٣٥٨ رقم ٦٠٥٣

ويروى أن أمير المؤمنين المهدي نام ليلة ونساؤه حوله فانتبهن لبكائه فقلن له ما شأنُك يا أمير المؤمنين فقال ما رأيتن الشيخ قلن لا والله ما رأينا أحداً فقال دخل عليّ شيخٌ وأنا بين النائمِ واليقظان والله لو كان بين ألفِ رجلٍ لعرفتهُ فأنشدني.

كأني بهذا القصر قد باد أهلُه وأوحش منه ركنُه ومنازلُه
وصار عمِيدُ القصرِ من بعد بهجةٍ ومُلكٍ إلى قبرٍ عليه جنادلُه
ولم يبق إلا ذِكرُه وحديثُه ينادي بويلٍ معولات حلائلُه

فقلن له أضغاث أحلام يا أمير المؤمنين خيراً رأيت فوالله ما أتت عليه سابعةٌ حتى مات.

- يذكر عن الأسود النخعي أنه كان يلتفت يميناً وشمالاً فقيل له ما هذا الالتفات قال انظرُ ملك الموتِ من أين يأتيني.
- وكان بعضُ الصالحين يقول ما أحسبُني إلا رجلاً قد أقعد لِيُقتل وجُرّد السيف عليه ومُدّت عنقه فهو ينتظر أن تضرب عنقه فيُلقى رأسُه بين يديه».

قال ﷺ: «**اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك**»[١].

(١) الحاكم والبيهقي وأحمد في الزهد.

وقال ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس؛ الصحة والفراغ**»[(١)].

وقال القائل:

إن في الموت والمعاد لشغلا وأذّكاراً لذي النهى وبلاغاً

فاغتنم نعمتين قبل المنايا صحة الجسم يا أخي والفراغا

وقوله ﷺ: «**بادروا بالأعمال سبعاً هل تنتظرون إلا فقراً مُنسياً، أو غنىً مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مُجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر**»[(٢)].

وقال ﷺ «**من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة**»[(٣)].

ويقول ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين أصبعية السبابة والوسطى**»[(٤)] يريد عليه الصلاة والسلام تقريب الأمر وسرعة نزوله وكل آتٍ قريب وكل ما هو كائن سيكون.

---

(١) رواه البخاري ٥/ ٢٣٥٧ رقم ٦٠٤٩ .

(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

(٣) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيحه، والترمذي ٥/ ٤٥٠ رقم ٢٤٥٠

(٤) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الآمدي ٥/ ٢١٤ رقم ٤/ ٢٢

- **ومن كلام بعضهم**: أما تسمعون أيها الناسُ داعي الموتِ يدعوكم وحاديه يحدوكم أما ترون صرعاه في منازلكم وقتلاه بين أيديكم ففيم هذا التصاممُ عن الداعي والتشاغلُ عن الحادي والتعامي عن مصارع القتلى والتغافِلُ عن مشاهدة الهلكى.

فرحم الله امرأ أيقظ نفسه في مُهلة الحياة قبل أن توقظه روعة الموت ومصيبتهُ واستعد لمّا هو آتٍ قبل الانبتات(١) وحلول الفوات وكأنّ الحُكم قد وقع والخطاب قد ارتفع وأعرض من أعرض وسمع من سمع

قطعت زماني حيناً وحيناً أدير من اللهو فنونا
وأهملت نفسي وما أُهملِتُ وهَوَّنت من ذاك ما لم يهونا
ورُبّ سرور شفي غِلةٍ وولى فأعقب حزنا رصينا
كم وعظتني عظات الزمان لو أني أصيخُ إلى الواعظينا
وكم دعاني داعي المنون وأسمعُ لو كنتُ في السامعينا
وماذا أؤملُ أو أرتجيه وقد جزتُ سبعاً على الأربعين
فلو كان عقلي معي حاضراً سمعت لعمري منه أنينا
ولن يبرحَ المرءُ في رقدةٍ يغطُ إلى أن يوافيَ المنونا

(١) الانبتات: الانقطاع.

- قال أنس في قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾.

قال: أكثركم للموت ذكراً وأحسنُ استعداداً وأشدُ منه حذراً وخوفاً.

قال حذيفةُ: ما من صباح ولا مساء إلا ومنادي ينادي أيها الناسُ الرحيلَ الرحيلَ.

وقال بعضُهم: أيها الإنسانُ إنما أنت نازلٌ من الدنيا في منزل تعمرُه أيامَ عمركِ ثم تخلّيه عند موتك لمن ينزله بعدك.

وقال الربيع بن خثيم: من خاف الوعيد قُرب عليه البعيدُ ومن طال أمله ساء عملُه.

وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: التؤدة[1] خيرٌ في كل شيء إلا في أمر الآخرة.

وكان الحسن رحمهُ الله: يقول في موعظته المبادرة المبادرة فإنما هي الأنفاسُ لو حُبِست انقطعت عنكم الأعمال التي تتقربون بها إلى الله عَزَّوَجَلَّ رحم الله امرأً نظر لنفسه وبكى على ذنبه ثم قرأ هذه الآية.

﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ يعني الأنفاسُ آخر العدد خُروجَ

---

(١) يعني: التأني.

نفسك وفراق أهلِك.

وقال بعضُ الصلحاء: اغتنم تنّفسَ الأجلِ وإمكان العمل واقتطع ذكر المعاذير والعلل فإنك في أجل محدود ونفس معدود وعمر غير ممدود.

وقال غيرُه: أعمل عملَ المرتحِل فإن حادى الموت يحدوك ليوم ليس يعدوك فيطرحُكَ في حفرة لا يخافُك فيها أحد ولا يرجوك أحد.

وكتب بعضهم إلى بعض إخوانه: أما بعد فإن الدنيا حلم والآخرة يقظة ونحن في أضغاث أحلام والسلام قال الحسن البصري: (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا).

وفي بعض الخطب: أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم وإن المؤمن بين مخافتين بين أجلٍ قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وأجل بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الحياة قبل الموت فإن الدنيا خلقت لكم وخُلِقتم أنتم للآخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموتِ من مُستعتَب وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار.

وخطب عمر بن عبد العزيز يوماً فقال: أيها الناس إنكم لم تُخلقوا عبثاً ولن تتركوا سُدى وإن لكم معاداً يجمعكم الله فيه للفصل وللحُكم فيما بينكم فخاب وشقي عبد أخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجنة عرضها السموات والأرض وإنما يكون الأمان غداً لمن خاف واتقى وباع قليلًا بكثير وفانياً بباق وشقاء بسعادة.

ألا ترون أيها الناس أنكم في أصلاب الهالكين ويُستخلف بعدكم ألا ترون أنكم تشيّعون غادياً ورائحاً إلى الله عزّ وجل قد قضى نحبه وانقطع عملُه وأملُه فتضعونه في بطن قاعٍ من الأرض غير ممّهد ولا مُوّسدْ قد قطع الأسبابَ وفارَق الأحباب وواجه الحساب وأيم الله إني أقول مقالتي هذه ولا أعلم عند أحدكم من الذنوب أكثر ممّا عندي ولكنها سُننٌ من الله عادلة أَمَرَ فيها بطاعته ونهى فيها عن معصيته ثم أَسْتَغفَر الله تعالى ووضع كُمَّهُ على وجهه وبكى حتى بلت دموعُه لحيتَه وما عاد إلى مجلسه ذلك حتى مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومما يرُوي عنه أنه قال أيها الناس إن الدنيا ليست بدار قراركم ولا محل إقامتكم دار كتب الله عليها الفناء وأوجب على

أهلها الرحيل فكم من عامر مؤنق[١] عما قليل ستخرب عمارته وكم من مقيم مغتبط عما قليل سيرحل فأحسنُوا رحمكم الله منها الرحلة واحملوا خير ما يحضركم للنقلة وتزودوا فإن خير الزاد التقوى إن الدنيا كظلٍ قلُص فذهب بينما ابن آدم فيها ينافِس وعليها يضارب إذا دعاه الله بِقَدَرِه ووافاه يوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه وصيّر للآخرين مصانعه[٢] ومغناه. إن الدنيا ما تسر بمقدار ما تضر إنها تَسُر قليلًا وتُحزِنُ حزناً طويلًا.

قال المأمون: أيها الناس استعدوا للموت فقد أظلكم وترحلوا فقد جدّ بكم وإن غايةً تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وإن غائباً يحدوه الجديدان[٣] لجدير بالسرعة وإن قادماً يقدم بالفوز أو بالشقوة لمستحق بأفضل العدة. اتقى عبد ربه نصح نفسَه وغلب شهوته وقدم توبته فإن أجله مستور عنه وأمله خادع له والشيطان مُوّكل به يمنّيه التوبةَ ليسوّفها ويزيّن له المعصية

(١) مؤنق: حسن.
(٢) القرى والحصون.
(٣) الليل والنهار.

ليركبها حتى تهجم عليه منّيتُه أغفلَ ما يكون عنها وأنسىَ ما يكون لها وإن ما بين أحدِكم وبين الجنة والنار إلا الموت أن ينزل به فيا لها من حسرة على ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجة أو أن تؤديه أيامه إلى شقوة جعلنا الله وإياكم ممّن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن الطاعة معصية ولا تحل به بعد الموت حسرة إنه سميع الدعاء فعّال لما يشاء.

ومن كلام بعضهم: يا ابن آدم إنك لو رأيت ما حلّ بك وما أحاط بأرجائك لبقيت مصروعاً لمَا بك مذهولًا عن أهلِك وأصحابك يا ابن آدم أما علمت أن بين يديك يوماً يصّم سماعه الآذان وتشيب لروعه الولدان ويترك ما عزّ وهان ويُهجر له الأهلون والأوطان.

يا ابن آدم أما ترى مسير الأيام بجسمك وذهابها بعمرك وإخراجها لك من سعة قصرِك إلى ضيق قبرك وبعد ذلك ما لذِكرِ بعضه تتصدع القلوب وتنضج له الجوانح وتذوب ويفر المرء على وجهه فلا يرجع ولا يؤوب.

فأكثروا من ذكر هادم اللذات الموت فإنكم إن ذكرتموه في ضيق وسّعه عليكم فرضيتم به وأُجِرتم وإن ذكرتموه في غنى نغصّه عليكم فجدتم به فأُثِبتم إنّ المنايا قاطعات الآمال

والليالي مدنيات الآجال وإن المؤمن بين يومين يوم قد مضى أحصى فيه فختم عليه ويوم قد بقي لعله لا يصل إليه إن العبد عند خروج نفسه وحلول رمسه[(١)] يرى جزاء ما أسلف وقلة غَناء ما خلّف ولعله من باطل جمعه أو من حقٍ منعه.

وقال بعض البلغاء: لا تَبتْ على غير وصية وإن كنت من جسمك في صحة ومن عمرك في فسحة فإن الدهر خائن وكل ما هو كائنٌ كائِن.

وقال ابن مسعود: ما منكم من أحد إلا هو ضيفٌ ومالُه عاريةٌ فالضيفُ مرتحلٌ والعاريةُ مردودةُ.

وقال علي رضي الله عنه : أيها الناس اتقوا الله الذي إن قلتم سمع وإن أضمرتم علم وبادروا بالموت الذي إن قمتم أخذكم وإن هربتم أدرككم.

وقال ابن ثعلبه تضحك يا هذا ولعل أكفانك عند القصّار.

وقال حكيم كلٌ يجري من عمره إلى غاية تنتهي إليها مدة أجله وتنطوي عليها صحيفة عمله فخذ من نفسك

---

(١) يعني: موته.

لنفسك وقس يومك بأمسك وكف عن سيئاتك وزد في حسناتك قبل أن تستوفي مدة الأجل ويُقصر عن الزيادة في السعي والعمل.

قال أبو عبيدة الناجي: دخلنا على الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ في يومه الذي مات فيه فقال مرحباً بكم وأهلًا وحياكم الله بالسلام وأحلنا وإياكم دار المقام هذه علانية حسنة إن صدقتم وصبرتم فلا يكونن حظكم من هذا الأمر أن تسمعوه بالآذان وتخرجوه من هذه الأفواه فإن من رأى محمداً ﷺ غادياً ورائحاً لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رُفِع له علم[1] فشمّر إليه الوحى الوحى النجاء النجاء علام تعرجون؟ رحم الله امرأً جعل العيش عيشاً واحداً فأكل كِسرة ولبس خِلقا ولصق بالأرض واجتهد في العبادة وبكى على الخطيئة وفرّ من العقوبة وطلب الرحمة حتى يأتيه أجله وهو على ذلك .

قال أبو محمد الزاهد: خرجنا في جنازة بالكوفة ومعنا داود الطائي فقعد في ناحية وهي تدفن فقال: من خاف الوعيد قَصُر عليه البعيد ومن طال أمله ضعف عمله وكل

---

(١) يعني: غاية وهدف.

ما هو آت قريب.

واعلم أن كل ما شغلك عن الله فهو عليك مشؤوم واعلم أن أهل القبور إنما يندمون على ما يتركون ويفرحون بما يُقّدمون فما عليه أهل القبور يندمون أهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه يتزاحمون.

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ويلٌ لمن كانت الدنيا أملَه والخطايا عملُه عظيمٌ بطِنتُه قليل فطنتُه عالمُ بأمر دنياه جاهلٌ بأمرِ آخرته.

وقال العلاء بن زياد: ليُنزِلْ أحدُكم نفسَه أنه قد حضره الموتُ وأنه استقال ربه فأقاله فليعمل بطاعةِ الله.

وقال غيره: عجبت ممّن يحزنُ على نقص ماله ولا يحزن على نقصان عمره وعجبت ممّن الدنيا مُدبرة عنه والآخرة مقبلة عليه كيف يشتغل بالمدبرة ويعرض عن المقبلة.

ها أنا لست أبكي فقد نفسي وتضييع الحياة مع المُضيع
ولو أني عقلت اليوم أمري لأرسلت المدامع بالنجيع
ألا يا صاح والشكوى ضروب وذكر الموت يذهب بالهجوع
لعلك أن تُعير أخاك دمعاً فما في مقلتيه من دموع

وقال بلال بن سعد: يقال لأحدنا تريد أن تموت فيقول لا فيقال له لِمَ؟ فيقول حتى أتوب وأعمل صالحاً فيقال له

اعمل فيقول سوف أعمل فلا يحب أن يموت ولا يحب أن يعمل فيؤخر عمل الله تعالى ولا يؤخرُ عمل الدنيا.

وقال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ : عجبت لثلاثة: لغافل وليس بمغفول عنه، ومؤمل دنيا والموت يطلبه، وبان قصراً والقبرُ مسكنُه.

وقال لقمان لابنه: يا بني أمر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل أن يفجأك .

وقال الحسن: ما رأيت يقيناً أشبه بالشك من يقين الناس بالموت مع غفلتهم عنه وما رأيت صدقاً بأشبه بالكذب من قولهم إنّا نطلب الجنة مع عجزهم عنها وتفريطهم في طلبها.

يروى أن المفضّل بن فضالة سأل ربه أن يرفع عنه الأمل فاستجاب له فترك الأكل والشرب ولم تستقم له عبادةٌ فدعَا ربه أن يرد عليه أملَه فردّه عليه فرجع إلى طعامه وشرابه.

أسلمني الأهل ببطن الثرى وانصرفوا عني فيا وحشتا
وغادروني مُعدماً يائساً ما بيدي اليوم إلا البكا
وكل ما كان كأن لَمْ يكن وكان ما حاذرته قد أتى
وذاكم المجموع والمقتنى قد صار في كفي مثل الهبا

ولم أجد لي مؤنساً ها هنا غير فجور كان لي أو تقى
فلو تراني أو ترى حالتي بكيت لي يا صاح مما ترى

❊ ❊ ❊

الموت وسكراته

سَجَعت هذه الحمامة سجعاً فتذكرتَ أنت إلفا وربِعا
لا لشيءٍ إلا لأنك ناسي مصرعاً قْد تقدمتْ فيه صرعى
وحديثاً من بعده وحديثاً وحديثا يجري فؤادك دمعا
يا جهولًا وغافلًا وظلوماً كل هذي جمعن عندك جمعا
ما لآمالي انتعجت سناها حيث لاقت برُوقِها حيث تسعى
شَغَلتَ نَفسَك اللجوجُ وأعمت منك عيناً وأثقلت منك سمعا
فتخطيت بالدواء إساءةً لم يَرْوا للدواء عندك نجعاً
ومحال بأن يرى فيك شحم لانتجاع وأنت جسمك ترعى

واعلم رحمك الله أنه من كان منتظراً لعقاب أن ينزل به من الأمير أو عظيم فإنه لا يزال متألم القلب مشغول النفس وبحسب النوع الذي يخاف من العقاب يكون ألمُ قلبهِ وشغلُ نفسِه وما منّا من أحد إلا وقد تُوّعدَ بالموت والموت قتل في الباطن ولا فرق أن يثبَ عليه إنسانُ بسيف أو سكين أو خنجر أو بغير ذلك فيقتله أو يثبَ عليك الموت فيقبض روحك.

فلو كُشِف للناس عن أبصارهم فرأوه حين يثب عليك وشاهدوه في الباطن حين يأخذُ روحَك لما كان بينه وبين

إنسان يقتلك فرق إلا أن الإنسان يحتاج لآلة يقتلها بك من سيف أو سكين أو غير ذلك وملك الموت لا يحتاج إلى شيء من ذلك. ثم أرأيت ألم القتل من الضرب والهدم والغرق والحرق هذا ليس مما يزيد في شدة الموت ويكثر من ألمه ووجعه لأن هذه كلها أسباب للموت والموت شيء آخر وهو أمر إلهي ينزل بالروح لا يعلم حقيقته إلا الذي ينزل به.

قال أبو حامد: إعلم أن شدة الألم في سكرات الموت لا يعرفُها على الحقيقة إلا من ذاقها ومن لم يذقها إمّا يعرفها بالقياس على الآلام التي أدركها وإمّا بالاستدلال بأحوال الناس في النزع على شدة ما هم فيه.

فالمدرك للألم في الموت هو الروح فبقدر ما يسري إلى الروح يتألم والمُؤلِم يتفرق على اللحم والدم وسائر الأجزاء فلا يصيب الروح إلا بعض الأثر فإن كان في الألم ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما أعظم ذلك الألم وما أشده فألم النزع يهجم على نفس الروح فيستغرق جميع أجزائه فإنه المنزوع والمجذوب من كل عرقٍ من العروق وعصب من الأعصاب وجزء من الأجزاء ومفصل من

المفاصِل ومن أصل كل شعرة وبشرة من القرن إلى القدم فلا تسأل عن كربه وألمه حتى قالوا إن الموت أشد من ضربٍ بالسيوفِ ونشرٍ بالمناشير وقرضٍ بالمقاريض لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف إذا كان المتناول المباشر نفس الروح فكيف بالألم.

وترى المضروب يستغيث ويصيح لبقاء قوة في قلبه وفي لسانه وعند الموت ينقطع صوتهُ وصياحُه لشدة ألمه وكربه لأن الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه شدة ألمِه وغلب على كل موضع منه فهدّ كلَّ جزء وأضعفَ كلَّ جارحةٍ فلم يتركْ له قوةَ الاستغاثة أما العقلُ فقد غشيَه وشوّشَه وأما اللسانُ فقد أبكمَه وأما الأطرافُ فقد أضعفها ويَودُ أن لو قَدُر على الاستراحةِ بالأنين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدِر على ذلك فإن بَقِيت فيه قوة سُمِعت له عند نزعِ الروح وجذبِه خواراً وغرغرة من صدرِه وحلقِه وقد تغيّر لونُه وأربد حتى كأنه ظهر منه التراب الذي هو أصلُ خلقتِه وقد جُذِب منه كلُ عرقٍ على حياله فالألم منتشرُ في داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان إلى أعلى جفونه ويتقلص اللسانُ إلى أصله وتخضرّ أناملُه.

فلا تسل عن بدنٍ يجذبُ منه كلُ عِرقٍ من عروقه ولو كان المجذوبُ عرقاً واحداً لكان ألمُه عظيماً فكيف والمجذوب نفسُ الروحِ المتألمِ وليس هو من عرقٍ واحد بل من العروقِ كلِها. ثم يموتُ كلُ عضوْ من أعضائه فتبرد أولًا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ولكل عضوٍ سكرةٍ بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها الحلقوم فعند ذلك ينقطعُ نظرُه عن الدنيا وأهلِها وينغلقُ دونه باب التوبة وتحيط به الندامةُ والحسرة ويروى أن العبد يقول لملك الموت عند الموت: يا ملك الموت أخرّني يوماً أستعتب فيه وأتوب إلى ربي وأعمل صالحاً فيقول له: فَنيتْ الأيامُ فلا يوم فيقول: أخرّني ساعةً فيقولُ فنيت الساعات فلا ساعة فتبلغ الروحُ الحلقومَ فيؤُخذ بكظمه عند الغرغرة فيغلق بابُ التوبة دونِهِ ويُحجبُ عنها وتنقطعُ الأعمالُ وتطوى الصحفُ وتتم الأوقات وتبقي عدد الأنفاس يشهدُ فيها المعاينة عند كشف الغطاء فيحدُ بصره فإذا كان في آخر نفس يدركه ما سبق له من السعادة فتخرج روحُه على الإيمان فذلك حسن الخاتمة أو يدركه ما سُبق له من الشقاوة فتخرجُ روحُه على

الكفر أو الشك أو العصيان وذلك سوء الخاتمة ونعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سوء الخاتمة.

كأني بنفسي على ضعفها تجرّعُ رُغماً كؤوسَ الردى
وقد كشف اللهُ عنها الغطا فحنت هناك لكشف الغطا
ومُدّت إليها يَدٌ فظةٌ لفظّ غليظٍ شديد القوى
فما شئتَ من نَفَس ضيق وضرب عروق وقطع الحشا
ونفْسٌ تساقُ أشد مساقٍ فتضغط في لهوات الفتى
ولا دافع يرتجى دفعُه ولا قائلٌ ما به يفتدى
ومالي انتصار ولا لي قرار ومالي من حيلةٍ تُرتجى
فدعني ويومي أبكي له فحُق ليومي بطول البكا

وكان عليٌّ يحرّضُ على القتال ويقول إن لم تقتلوا تموتوا والذي نفس محمد بيده لألف ضربةٍ بالسيف أهون من موتٍ على فراش.

وقال شداد بن أوس: الموت أفظعُ هول في الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشدُ من نشر المناشِر وقرضِ بالمقاريض وغلي في القدوْر ولو أنّ الميت نُشِر فأخبرَ أهلَ الدنيا بألم الموت لما انتفعوا بعيش ولا التذوا بنوم.

ودخل الحسن على رجل ينازع الموت فنظر إليه وقال:

إن أمراً هذا أولُه ينبغي أن يُتقى آخرُه وإن أمراً هذا آخرُه ينبغي أن يُزهد في أولِه.

ولما نزل بالنبي ﷺ الموت وكان عنده قدح من ماء فجعل يُدخِلُ يدَه في القدح ويقول وهو يمسحُ وجهَه: «**اللهم أعّني على سكرات الموت**»(١) وفي رواية ويقول: «**لا إله إلا الله إن للموت سكرات**»(٢) وفاطمةُ ابنتهُ ﵂ تقول واكرباه لكربك يا أبتاه وهو يقول ﷺ: «**لا كرب على أبيك بعد اليوم**»(٣).

- ويروى عن مكحول مرسل عن النبي ﷺ أنه قال: «**لو أن شعرة من شعرات الميت وضعت على أهل السموات والأرض لماتوا بإذن الله لأن في كل شعرة من الميت الموت ولا يقع الموت على شيء إلا مات**»(٤).

* * *

(١) رواه الترمذي (٩٧٨) وصححه الألباني في صحيحه.
(٢) رواه البخاري ١٠/ ٥٤٤ .
(٣) رواه أبو يعلى ٥/ ٥٦ رقم ٢٧٦٩
(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا وهو مرسل حسن.

مـاذا تـؤمـل والأيـامُ ذاهـبـةٌ ومـن ورائِك لـلآمـال قُـطّـاع
وصيحةً لهجوم الموت منكرة صُمت لوقعتها الشنعاءُ سماعُ
وغصّة بكؤوس الورى أنت شاربها لـهـا بـقـلـبـك آلام وأوجـاعُ
يا غافلًا وهو مطلوب ومُتبّع أتاك سيلٌ من الفرسان دفّاع
خذها إليك طِعانا منك نافذة تُعدي الجليسَ وأمرُ ليس يستطاع
إنّ المنية لو تُلقى على جبل لأصبح الصخر منه وهو مياع

وقال عمرُ لكعب حدثنا عن الموت فقال: كغصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى.

- وعن جابر ﵁ يروى أنه خرجت طائفة من بني إسرائيل فأتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا لو صلينا ركعتين ودعونا الله تعالى أن يخرج لنا بعض الأموات فيخبرنا عن الموت قال ففعلوا فبينما هم على ذلك إذْ اطّلَعَ رجلٌ برأسِهِ من قبر وبين عينيه أثر السجود فقال يا هؤلاء ما أردتم إليّ؟ فوالله لقد مِتُّ منذ مائة سنة وما سكنتْ عني حرارةُ الموت حتى الآن فادعوا الله أن يعيدني كما كنت.

وفي الأثر أن العبدَ الصَالح ليعالج سكراتِ الموتِ وكربه وإن مفاصَله ليسلُم بعضُها على بعض يقول عليك

السلام لا نجتمع إلى يوم القيامة.

وأما مشاهدة صورة ملك الموت وما يدخل في القلب منه الروع والفزع فهو أمر لا يُعبّر عنه لعظم هوله وفظاعة رؤيته ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الذي يشاهده ويطلع عليه وإنما هي أمثال تقرب وحكايات تحكى.

- **قال إبراهيم** عليه السلام **لملك الموت**: هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبضُ روح الفاجر فقال لا تطيق ذلك قال بلى قال فأعرض عني فأعرض ثم التفت فإذا برجل أسود الثياب قائم الشعر منتن الريح يخرج من فمه ومنَاخِرِه لهبُ النار والدخانُ فغشي عليه... فقال إبراهيم عليه السلام لمّا أفاق لو لم يلق الفاجرُ إلا رؤية وجهك لكان حسبُه.

- نظر إبراهيم الزيات إلى أناس يترحمون على ميت فقال لو تترحمون على أنفسكم لكان خيراً لكم إن ميتكم قد نجا من أهوال ثلاثة: وجه ملك الموت وقد رآه ومرارة الموت وقد ذاقها وخوف الخاتمة وقد أمِنها.

- **ويروى عن ابن عمر أنه قال**: إذا قبض ملك الموت روح الميت قام على عتبة بابه ولأهل بيته ضجّه فيقول لهم فيم الجزع والله ما انتقصت منكم عمراً ولا أخذت منكم

رزقاً ولا ظلمت منكم أحداً فوالله إن لي بكم عودة ثم عودة ثم عودة حتى لا أُبقي منكم أحداً.

قال ابن عمر: فلو سمعوا كلامه لبكوا على أنفسهم ونسوا ميتَهم.

وقال يزيد الرقاشي: ولو يعلمون سوء المنقلب لزاد البكاء والعويل.

فيا عبد الله يا مسكين تب وارجع واخشع واخضع فلابد لك من سماع ملك الموت بقوله إما يا ولي الله أبشر بالجنة وإمّا يا عدو الله أبشر بالنار.

وهذا والله الذي قطّع قلوبَ الخائفين وأسال عبرات التائبين وأسهر ليالي العابدين.

فيا غافلًا ويا ساهياً ويا مغتراً بهذه الركيعات التي تمن بها على الله تقول الحمد لله أنا أصلي وغيري لا يصلي، لو علمت ما سيكون لتمنّيت أنك ما خُلِقت ولا وُجدت.

كما كان يقول بعض السلف ليت أمي لم تلدني.

ويقول الآخر يا ليتني كنت نسياً منسياً.

فما نقول نحن بالله عليك!!

❊ ❊ ❊

موت الصحابة

- **دخلوا على الصديق** ﵁ **قالوا**: ألا ندعو لك طبيباً قال رآني الطبيب قالوا ماذا قال، قال: إني فعال لما أريد.

- **مرض أبو الدرداء** ﵁ **فقالوا له**: أي شيء تشتهي قال الجنة قالوا ندعو لك طبيباً قال الطبيب أمرضني فقال أحدُهم أتشتهي أن أسامرك الليلة فقال أنت معافَى وأنا مُبتلى، فالعافية لا تدعك أن تسهر والبلاءُ لا يدعني أن أنام أسألُ اللهَ الذي لا إله إلا هو أن يهب لأهل العافية الشكر ولأهل البلاء الصبر.

- **ومرض الربيع بن خثيم** ﵁ فقالوا له: ألا ندعو لك طبيباً فتفكر وقال: أين عادُ وثمودُ وأصحابُ الرس وقرون بين ذلك كثير قد كانت فيهم الأدواء والأطباء فلا أرى المداوي بقي ولا المُداوى كلٌ قد قضى ومضى والله لا أدعو لي طبيباً أبداً.

قيل لحسان بن أبي سنان في مرضه كيف تجدُك فقال أجدني بخير إن نجوت من النار.

ودخلوا على مغيرة الخراز وهو مريض فقالوا: كيف

تجدك، قال: أجدني مُوقراً بالآثام قالوا: فما تشتكي؟ قال الحسرة على طول الغفلة قالوا: فما تشتهي، قال: الإنابة إلى ما عند الله والنقلة عما يكرهه فبكى القومُ جميعاً.

دخل عبد الله بن عتبة على مريض فقال له كيف تجدك فقال:

خرجت من الدنيا وقامت قيامتي غداة أقلّ[١] الحاملون جنازتي
وعجّل أهلي حفر قبري وصيّروا خروجي وتعجيلي
أجلّ كرامتي كأنهم لم يعرفوا قط صورتي غداة أتى يومي عليّ وساعتي

– لما طُعن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سقوه اللبن فخرج من بطنه فقال الله أكبر وعلم أنه يموت فأثنوا عليه خيراً فقال وددت أن أخرج من الدنيا كفافاً لا عليّ ولا لي والله لو كان لي اليوم مثل ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع وأمر بوضع رأسه على التراب فمسح خديه بالتراب ثم قال ويلٌ لعمر ويل لعمر ويل لأم عمر إن لم يغفر الله لعمر.

ولما احتضر عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جعل يقول ودمه يسيل: لا إله إلا الله أنت سبحانك إني كنت من الظالمين اللهم إني استعينُ بك على أموري وأسألُك الصبر على بلائي.

(١) يعني: حمل.

- ولما دنا الموت من عمرو بن العاص رضي الله عنه دعا بحرسه ورجاله فلما دخلوا عليه قال هل تغنون عني من الله شيئاً قالوا لا قال فافترقوا عني ثم توضأ فأسبغ الوضوء وقال احملوني إلى المسجد فوجهوه نحو القبلة فقال: اللهم إنك أمرتني فعصيت وائتمنتني فخنت وحددت لي فتعديت اللهم لا برئ فاعتذر ولا قوي فأنتصر بل مذنب مستغفر لا مُصِر ولا مستكبر ثم قال لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فلم يزل يرددها حتى مات رضي الله عنه ويروى أن ابنه عبد الله قال يا أبت ما كنت أظن أن ينزل بك أمر من الله إلا صبرتَ عليه فقال يا بُني نزل بأبيك ثلاث خصال: فراق أحبّته، وانقطاعُ أملِه وهولُ المطلع ثم قال اللهم إنك أمرتَ فتوانيت ونهيت فَعصيت اللهم من شيمتُك العفو والتجاوز.

ولما حضرت أبا هريرة الوفاةُ بكى فقيل له، ما يبكيك فقال يُبكيني بُعدُ المفازة وقلة الزاد وضعف اليقين والعقبة الكؤود التي المهبط فيها إما إلى الجنة وإمّا إلى النار.

- ولما حضرت حذيفة رضي الله عنه الوفاة قال: اللهم إني كنت أخافُك وأنا اليوم أرجوك اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحبَ

البقاء في الدنيا لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار ولكن لظمأ الهواجر وقيام الليل ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء في حلق الذكر ولمّا اشتد به النزعُ جعل كلما أفاق من غمرة الموت فتح عينيه وقال يا رب شد شداتك واخنق خنقاتِك فوعزتك إنك لتعلم أني أحبُك .

- ولما دنت الوفاة من عمر بن عبد العزيز بكى فقيل له ما يبكيك أبشر فقد أحيا الله تبارك وتعالى بك السُنّة وأظهر بك العدل فبكى ثم قال: أليس أُوقف ثم أسأل عن هذا الخلق والله لو عدلت فيهم لخفت أن لا تقوم نفسِي بحُجتها عند الله تعالى إلا أن يلقنها حجَتها ويثّبتها فكيف بكثير مما ضيعت ثم بكى.

ويروي أنه لمّا قرب موتُه قال أجلسوني فلما أجلسوه قال: اللهم أنا الذي أمرتني فقصّرت ونهيتني فعصيت قالها ثلاث مرات فإن عفوت فقد مننت وإن عاقبت فما ظلمت ثم قال لكن أرجو خيراً بقولي لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم أحدّ النظر فقيل له في ذلك فقال أرى حضرة ما هم بإنس ولا جان ثم خرج من كان عنده فلما يلبث إلا قليلًا حتى مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى فسمعوه وهو

يقول ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

ويروى أنه قيل له وقد اشتد مرضه أوصنا فقال أحذركم هول مصرعي هذا.

* * *

موت الخلفاء

- ولما حضر الموت عبد الملك بن مروان نظر في موضع له مشرف إلى رجل وبيده ثوب وهو يضرب به إلى المغسلة فقال يا ليتني كنت مثل هذا الرجل أعيش من كسب يدي يوماً بيوم ولم آل من الأمر شيئاً فقال له رجل كيف تجدُك يا أمير المؤمنين قال تجدني كما قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]. وقال عِند موته ذاماً الدنيا: إن طويلَك لقصير وإنَ كبيرك لصغير وإن كّنا منكِ لفي غرور.

ولما حضرت الوفاة أبا جعفر المنصور قال:

المرءُ يأملُ أن يعيشَ وطول عيشٍ قد يضّرُه
تبلى بشاشتُه ويبقى بعد حلوُ العيشِ مُرُّهُ
وتحزنه الأيام حتى لا يرى شيئاً يَسُرُه
كم شامتٍ بي أن هلكتُ وقائل لله درُّه

ثم قال لوزيره هذا السلطان لا سلطان من يموت ثم قال اللهم إني ارتكبت الجرائم من الذنوب جرأة عليك وأطعتك

في أحب الأشياءِ إليك شهادة أن لا إله إلا الله مَنًّا منك لا مَّنًا عليك اللهم اجعل ذلك قربة لي عندك ثم مات من ساعته.

- ودخلوا على عبد الله بن طاهر وهو في سكرات الموت فقالوا السلام عليك أيها الأمير فقال لا تُسمني أميراً وسمّني أسيراً ولكن اكتب عندك بيتين ما أراهما إلا آخر بيتين أقولهما فقال:

بَادرْ فقد أسمعك الصوت   إن لم تبادر فهو الفوت
من لم تزلْ نعمتُه قبَله   زال عن النعمة بالموت

- ولما حضرت الوفاة هشام بن عبد الملك نظر إلى أولاده وأهله يبكون حوله فقال لهم: جادَ لكم هشام بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء وترك لكم هشام ما جمع وتركتم عليه ما اكتسب ما أعظم منقلب هشام وما أسوأه إن لم يغفر الله له.

- وكان هارون الرشيد ينتقي أكفانه بيديه ويقول: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ [الحاقة: ٢٩].

لا خير في الدنيا لذي بصرٍ   عميت لما فيها نواظرهُ
وسبيلنا في الموت واحدةً   يتلوا أكابره أصاغرهُ
من كان للصالحات مدَّخِراً   فستستبين غداً ذخائرهُ

يا من يريد الموتُ مُهجَته لا شك مالك لا تبادرُه
هل أنت معتبر بمن خرَّبَ منه العداةُ معاً دساكره
وبمن أذلّ الدهرُ فصرعه فتبرأت منه عشائرُه
وبمن خلت منه أسرّتهُ وبمن خلت منه منابرُه
دُرست محاسنُ وجهه ونفى عنه النعيم ثرى يباشره
أين الملوكُ وأين غيرُهم صاروا مصيراً أنت صائرُه
يا مؤثر الدنيا للذّته والمستعد لمن يفاخرُه
نِلْ ما بدا لك أن تنال من الدنيا فإن الموتَ آخرُه

ثم قال الرشيد: والله لكأني المخاطب بها دون الناس فلم يلبث إلا يسيراً حتى مات.

ورواية: فبكى هارون بكاءً شديداً وتمايل على فراشه وجعل ينشد:

إن الطبيب بطبّه ودوائِه لا يستطيعُ دفاعَ مقدورَ القضا
ما للطبيب يموت بالداء الذي قد كان يُبرئُ مثله فيما مضى
ذهب المُداوي والمُداوى والذي جلب الدواء وباعه ومن اشترى

واشتد ضعفُه عندما سمع كلام الطبيب وأرجف الناسُ بموته فلما بلغه ذلك دعا بحمار ليركبه فلما صار عليه سقط ولم يقدر أن يثبت على السرج فقال صدق المرجفون فدعا

بأكفان فنشرت بين يديه فجعل يختار منها ما يصلح فلما اطّلع عليها جعل يقول ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ [الحاقة: ٢٩].

- ولما حضرت المأمونُ الوفاة أمر بجل دابته ففرش له فاضطجع عليه ووضع الرمادَ على رأسه وجعل يقول: يا من لا يزول ملكُه ارحم من زال ملكُه.

- وكان المعتصم يقول: لو علمت أن عمري هكذا قصير ما عملت ما عملت وجعلها يقولها ويبكي.

- ولما حضرت المنتصر الوفاةُ جعل يضطرب فقالوا لا بأس عليك يا أمير المؤمنين فيقول: ذهبت عني الدنيا والآخرة وتقولون لا بأس عليك.



موت الصالحين

- ولما نزل الموت بالعابد محمد بن المنكدر بكى فقيل له: ما يبكيك فقال: والله ما أبكي لذنبٍ أعلم أني أتيتُه ولكني أخاف أن أكون قد أذنبت ذنباً حَسِبتُه هيناً وهو عند الله عظيم.

- قيل لجابر بن زيد عند موته ما تشتهي قال نظرةً إلى الحسن فجاء الحسن فلما دخل عليه قيل له هذا الحسن فرفع طرفَه وقال يا أخوتاه الساعة أفارقكم إما إلى الجنة وإما إلى النار.

- ولما حضرت ابن سيرين الوفاةُ بكى قالوا: ما يبكيك قال: أبكي لتفريطي في الأيام الخالية وقلة عملي للجنة العالية وما ينجيني من النار الحامية.

- ولما حضرت النخعي الوفاة بكى قالوا: ما يبكيك فقال انتظر رسولًا من ربي يبشرني بالنار أو بالجنة.

- ولما حضرت الفضيل الوفاةُ غُشي عليه ثم أفاق فقال يا بُعد سفري وقلة زادي.

- وكان عامرُ بن قيس يصلي كل يوم ألف ركعة فلما حضره الموت بكى فقالوا ما يبكيك قال أبكي لقوله

تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ وأين عامرُ منهم.

- ولما نزل الموت بسليمان التيمي قيل له أبشر فقد كنت مجتهداً في طاعة الله تعالى فقال لا تقولوا هكذا فإني لا أدري ما يبدو لي من الله عز وجل فإنه يقول سبحانه وتعالى ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧].

- ولما نزلت الوفاة ببشر الحافي وكان على علو شأنه في العبادة والزهد شق عليه وساءه ذلك فقيل له أتحبُ الحياة يا بشر؟ فقال: يا قوم القدوم على الله شديد.

- ولما حضرت أبا سليمان الداراني الوفاة قال له أصحابه: أبشر فإنك تقدم على ربٍ غفور رحيم فقال لهم: ألا تقولون أنك تقدم على ربٍ يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير.

- احتضر أحد الصالحين فبكت امرأته فقال ما يبكيك قالت عليك أبكي قال: إن كنت باكية فابكي على نفسك فأما أنا فقد بكيت على هذا اليوم منذ أربعين سنة.

- ويروى عن ابن المبارك أنه لمّا احتضر نظر إلى السماء فضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون.

- وفتح ابن بنان عينيه عند الموت فقال: ارتع فهذا

مرتع الأحباب وخرجت روحُه.

- ودخلوا على سري السقطي عند الموت فقالوا: كيف تجدك فقال كيف أشكو إلى طبيبي ما بي والذي قد أصابني من طبيبي وأنشد:

القلب محترقُ والدمع مستبق   والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرارُ على من لا قرارَ له   ممّا جناه الأسى والشوق والقلق

ثم ذكر الله تعالى ومات.

- دخلوا على بعض العباد في مقدمات الموت فأخذ يتنفس ويتأسف فقالوا ما هذا التأسف: فقال ما تأسفي على النقلة من دار الدنيا دارِ الأحزان والأسقام والخطايا والذنوب ولكن أسفي على يوم أفطرتُه أو ليلةٍ نمتُها أو ساعةٍ غفلت عن ذكر الله فيها ولكن إن وقع في هذا تقصير فلم يقع في التوحيد تقصير ما عبدت سواه ولا وحّدتُ غيره ولا سكن في قلبي محبة شيء إلا محبته.

- ودخلوا على الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مرضه الذي مات فيه فقالوا كيف أصبحت يا أبا عبد الله فقال أصبحت من الدنيا راحلًا وللإخوان مفارقاً ولسيء عملي ملاقيا ولكأس المنية شارباً وعلى ربي تبارك وتعالى واردا ولا أدري روحي

للجنة فأهنيّها أو للنار فأعزيها فأنشد:

ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي جعلتُ الرجا مني لعفوك سُلّما
تعاظمني ذنبي فلما قرْنتُه بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عوفٍ عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منّةً وتكرما
فلولاك لم يغوِ بإبليس عابد وكيف وقد أغوى صفيك آدما

- قال عطاء: تبدىّ إبليسُ لعنة الله لعابد عند الموت فقال له نجوت يا هذا فقال ما أمنتُك بعد.

- ولما حضرت الحسن بن هانئ الوفاة أنشد:

دبّ فيَّ السقام سفلاً وعلوا وأراني أموت عضوا فعضوا
ليس من ساعة مضت بي إلا نقصتني بمَرِّها بي جَزْوا
لهفُ نفسي على ليال وأيامٍ قضيتُهن لعباً ولهوا
قد أسأتُ كلَ الإساءةِ فاللهم صفحاً وغفرانا وعفوا

❊ ❊ ❊

ما يستحب للميت عند الموت

وقال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : احضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله فإنهم يرون ما لا ترون.

- ويجب أن لا يلحَّ على الميت بتلقين الشهادتين. **قال ابنُ المبارك**: لقنوا الميتَ لا إله إلا الله فإن قالها فدعوه، لأنه يُخاف عليه إذا أُلِّحَ عليه بها أن يبرم ويضجرَ ويثقلها الشيطانُ عليه فيكون ذلك سبباً لسوء الخاتمة.

- لما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه اجعل رأسي على التراب قال فبكى نصرٌ فقال ما يبكيك فقال: ذكرتُ ما كنت فيه من النعيم وأنت هنا تموتُ فقيراً غريباً فقال اسكتْ فإني سَألتُ الله أن يحيني حياة السعداء ويمتني ميتة الفقراء ثم قال لقني الشهادة ولا تَعِد عليّ إلا أن أتكلم بكلام ثان.

وأما حسنُ الظن بالله

قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : إذا رأيتم الرجل قد نزل به الموت فبشّروه حتى يلقى ربَه وَهو حسنُ الظنِ بالله تعالى وإذا كان

حيًّا فخوفوه بربه واذكروَا له شدةَ عقابه.

- وقال المعتمر بن سليمان قال لي أبي عِند موته يا معتمر حدثني بالرُخَص لعلي أن ألقى الله تعالى وأنا حسنُ الظن به. وكانوا يستحبون أن يذكّروا العبد بمحاسن عملِه عند موته كي يُحسن الظن بربه.

قال الفضيل: ما دمتَ حياً فلا يكن شيءٌ عندك أخوف من الله عز وجل وإذا نزل بك الموتُ فلا يكن عندك شيء أرجىَ من الله عز وجل .

- ولما نزل بحذيفة رضي الله عنه الموت قال: حبيب جاء على فاقةٍ قد كنتُ قبل اليوم أخشاك وأنا اليومُ أرجوك.

- ودخل النبي ﷺ على شاب وهو في سكرات الموت فقال له: «**كيف تجدُك**» قال أرجو الله وأخافُ ذنوبي فقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يجتمعان في قلب عبدٍ في مثل هذا الموطن إلا أعطاه اللهُ ما يرجو وأمّنه من الذي يخاف**»(١).

* * *

(١) رواه الترمذي وحسنه وكذا فعل الحافظ والألباني.

الجنائز وفضل اتباعها

– وعن ثوبان أن ﷺ قال: «**من صلى على جنازة فله قيراط فإن شهد دفنها فله قيراطان القيراطُ مثل أحد**»(١).

اعلم رحمك الله أنَّ في الجنائز عِبرةً للمعتبرين وفكرةً للمتفكرين وتنبيهاً للغافلين وإيقاظاً للنائمين بينما الإنسانُ في قعود وقيام ونزول وصعود. وخذْ هذا ودعْ وابنِ هذا واهدم هذا وقد كان وما كان وأين ذهبَ فلان؟ ومن أين جاء فلان إذ جاءه أمرٌ إلهي وحادثٌ سماوي وحكمُ رباني فسكنّ حركتَه وأطفأ شُعلتَه وأذهب نضَرته وتركه كالخشبة الملقاة والحجر المرمي إن صيح به لم يسمع وإن دُعي لم يُجِبْ وإن قُطّع أو أُحرِق لم يتكلم إن ربك على ما يشاء قدير.

قال رسول الله ﷺ: «**إذا وضعت الجنازةُ فاحتملها الرجالُ على أعناقهم فإن كانت صالحةً قالت قدموني قدّموني وإن كانت غير صالحةٍ قالت يا ويلها أين تذهبون بها يسمعُ صوتَها كلُ شيءٍ إلا الإنسان ولو سمعها**

(١) رواه مسلم.

الإنسانُ لصعق»[١] . وهما ميتان فميت يستريح من تعب هذه الدار وُيفضي إلى راحة دار القرار وميت يستريح منه البلادُ والعبادُ ويقضي إلى سوءِ المصير وبئس المهاد- مّر النبيُ ﷺ بجنازة فقال مستريح أو مستراح منه فقالوا يا رسول الله ما المستريح وما المستراح منه قال العبدُ المؤمنُ يستريح من نصب الدنيا وإيذائِها إلى رحمة الله والعبدُ الفاجرُ يستريحُ منه العبادُ والبلاد والشجر والدوابُ[٢].

مرّت على جرير جنازة وهو يُملي على كاتبه شعراً فاطلّعت جنازةً فأمسك وقال شيبتني والله هذه الجنائزُ وأنشأ يقول:

تروعُنا الجنائزُ مقبلات ونلهو حين تذهبُ مُدْبرات
كروعةِ ثُلةٍ لمغَار ذئبٍ فلما غاب عادت راتعات

- كان أبو هريرة إذا رأى جنازة قال امضِ ونحن على أثرك.

- وكان مكحولُ الدمشقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا رأى جنازة قال:

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه البخاري ومسلم.

أغدُ فإنا رائحون موعظةٌ بليغةٌ وغفلةٌ سريعةٌ يذهبُ الأولُ والآخِرُ لا عقلَ له.

- ومرت بالحسن البصري- جنازةٌ فقال: يا لها من موعظةٍ ما أبلغها وأسرعَ نسيانها يا لها من موعظة لوْ وَافقتْ من القلوب حياةً ثم قال: يا غفلةٌ شاملةٌ للقوم كأنهم يرونَها في النوم. ميتُ غدٍ يدفنُ ميت اليوم.

وقال أسيد: ما شهدتُ جنازة وحدثت نفسي بشيء سوى ما يُفعل بالميت وما هو صائرُ إليه.

- ولما مات أخو مالك بن دينار خرج مالكُ في جنازته وبكى ثم قال والله يا أخي لا تقر عيني بعدك حتى أعلم إلى ما صرت إليه ولا والله لا أعلمُ ذلك ما دمت حيًّا.

- **وقال الأعمش**: كنا نشهدُ الجنازة ولا ندري من المُعَّزى فيها لكثرة الباكين وإنما بكاؤهم على أنفسهم لا على الميت.

وقال ثابت: كنا نشهدُ الجنازة فلا نرى إلا باكياً.

وقال النخعي: كانوا يشهدون الجنازةَ فيُرى فيهم ذلك أياماً كأنَ فيهم الفكرة في الموت وفي حال الميت.

وقال مطرّف: أنه كان يلقى الرجل في الجنازة من

خاصة إخوانه قد بعُد العهدُ به فلا يزيدُه على السلام حتى يظن الرجلُ أن في صدره عليه موجدةٌ كلُ ذلك لانشِغاله بالجنازة وتفكِره فيها وفي مصيرها حتى إذا فرغ من الجنازة لقيه وسأله ولاطفه وكان منه أحسن ما عهد.

- ورأى ابنُ مسعود صاحبُ رسول الله ﷺ رجلًا يضحك في جنازة فقال: أتضحك وأنت في جنازة والله لا أكلمك أبداً.

❊ ❊ ❊

النهي عن النياحة

- أُغمِي على عبد الله بن رواحة عند موته فجعلت أختُه تبكي وتقولُ وا جبلاه وا كذا وا كذا تعدد عليه فقال حين أفاق ما قلت شيئاً إلا قيل لي أأنت كذلك؟ فلما مات لم تبكِ عليه.

قال النبي ﷺ: «**إن الميت ليعذب ببكاءِ الحي عليه**»(١).

إذا قالت النائحةُ وا عضداه وا ناصراه وا كاسباه جُذب الميتُ وقيل له أأنت عضدُها أأنت ناصرُها أأنت كاسبُها.

- وجع أبو موسى رضي الله عنه وجعاً فغشي عليه ورأسُه في حجر امرأةٍ من أهله فصاحت امرأةٌ من أهله فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً فلما أفاق قال أنا بريءٌ أنا بريءٌ ممّن برئ منه النبي ﷺ فإن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة(٢) والحالقة(٣) والشاقة(٤).

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) الصالقة: هي التي تنوح وتصرخ عند المصيبة.
(٣) الحالقة: هي التي تحلُق رأسها عند المصيبة.
(٤) الشاقة: هي التي تشُق ثوبها عند المصيبة.

قال ﷺ: «**ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية**»(١).

وقال ﷺ «**اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت**»(٢).

وأما البكاء دون صراخ ونياحة وعويل وندب للميت بذكر محاسنه فهو جائز فقد بكى النبي ﷺ على إبراهيم ابنه وعلى سعد بن عبادة وعلى عثمان بن مظعون وزيد وجعفر وابن رواحة وقال ﷺ: «**تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي ربنا**»(٣).

* * *

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.

ما يحذر من سوء الخاتمة

وسوءُ الخاتمة هو الذي قطّع قلوب العابدين وأجرى دموعَهم في النهار والليل كيف لا وما منَّا أحد إلا ويخافُ من سوء الخاتمة وما الذي أمّنه مِنهُ وما الذي حاد به عنه والخاتمةُ مغيبةٌ والعاقبة مستورةٌ والأقدارُ غالبةٌ والنفس كما تدري والشيطانُ منها بحيث تدري وهي مصغية[1] إليه ملتفتةٌ مقبلةٌ عليه.

كذا جرت الأقلامُ وانبرت الأحكامُ فقسم الخلقَ إلى قسمين وفرقهم إلى فريقين شقيٌّ وسعيدٌ غويٌ ورشيد قريبٌ وبعيد ذميمُ وحميدُ إجابة وامتناع وأنت يا هذا ما تدري بما جرى سهمك ولا كيف ثبت في هذه الأسماء اسمُك.

قد حكمُ الله بما شاء من وضع من شاء وإعلاء من شاء:

وقُدِّر الأمرُ على ما يُرى   من منع أقوام وإعطاء
وأُبرمت أحكامُه في الورى   من قبلُ بإسعادٍ وإشقاءِ
وأنت لا تدري بماذا جرى   طيُرك في محكم الأجواء
هل بشقاءِ أو بسعد وهل   مرت برشد أو بإغواء

(١) يعني: مستمعة منصته.

فاقدح زناد الخوفِ بين الحشا　　واقنع من النوم بإغفاء
وابكِ على نفسِك حتى ترى　　ما اسمك في مثبت الأسماء

في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الرجل ليعملُ عملَ أهلِ الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجلَ ليعمل عملَ أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة وإنما الأعمال بالخواتيم**»[١].

وصح عنه ﷺ أنه قال: «**جف القَلمُ بما أنت لاق**»[٢].

وقال ﷺ: «**رُفعت الأقلامُ وجَفت الصحفُ**»[٣].

فانظر رحمك الله كيف تقرُّ عينُ عاقلٍ في هذه الدار وكيف يستقرُّ به فيها قرارٌ مع هذه الحال وتوقُّع هذا المآلِ واشتغالِ هذا الخاطر وتَقَسُّمُ هذا البال.

بكى سفيانُ الثوري ليلةً إلى الصباح فقيل له: أبكاؤُك هذا على الذنوب فأخذِ تبنة من الأرض وقال الذنوبُ أهونُ من هذه وإنما أبكي خوف الخاتمة وفي رواية قال: أخاف أن أُسلبَ الإيمانَ عند الموت:

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) رواه الترمذي.

والـذي أبـكـى الـجـفـون دمًـا فـغـدت مــن ذاكِ فــي عُــذرٍ
سابـقٌ لـم يـدر كـيـف جـرى فـي الـقـضـاء الـحـتـمِ والـقـدرِ
وأمــور فــي الــورى خُـفـيـت عــن ذوي الألــبــاب والــنـظَـرِ
فــدع الأنــفــاسَ صــاعــدةً ودمــوعَ الــعــيــنِ تــنــحــدرُ
وابــكِ لا جــفــت دمــوعُــك مـا ضـاع مـن أيـامِـك الـغـررِ

وقيل: لا تكف دمعَك حتى ترى في المعَاد رِبعَك[1].

وقيل لا تكحل عينيك بنوم حتى ترى حالَك بعد اليوم.

وقيل: لا تَبتْ وأنت مسرور حتى تعلم عاقبة الأمور.

وقيل: يا بن آدم الأقلام عليك تجري وأنت في غفلةٍ لا تدري يا ابن آدم دع عنك المغاني والأوطان والمنازل والديار والتنافس في هذه الدار حتى ترى ما فعلْت في أمرِك الأقدار.

واعلم أن لسوء الخاتمة أعاذنا الله منها أسباباً ولها طرق وأبواب: أعظمها الانكباب على الدنيا والإعراض عن الآخرة والإقدام بالمعصية على الله وربما غلبتْ على الإنسان معصية فملكت قلبَه وسبت عقلَه وأطفأت نورَه وأرسلت عليه حجُبَه فلم تنفع فيه تذكرةٌ ولا نجعت فيه موعظةٌ فربما جاءه الموتُ على ذلك فسمع النداءِ من مكان

(١) يعني: مكانك.

بعيد فلم يتبين المرادَ ولا علم ما أرادَ وإن أعاد عليه وأعاد.

وهذه بعض القصص التي تبين لنا سوء الخاتمة ذكرها ابن القيم في كتابه الداء والدواء:

- **نزل برجل الموتُ فقيل له:** قل «لا إله إلا الله» فقال الدارُ الفلانية أصلحوا فيها كذا والحديقة افعلوا فيها كذا.

- **دخلوا على مدمن خمر فأخذوا يلقنّوه «لا إله إلا الله» فقال:** هو كافر بها، فقال رجل من العلماء «اتقوا الذنوب فهي تورد الكفر».

- **ونزل برجل الموت فقيل له:** قل «لا إله إلا الله» فجعل يقول عشرة أحد عشر اثنا عشر كان هذا الرجل من أهل العمل والديوان فغلب عليه الحسابُ والميزانُ وكُل إناءٍ بما فيه ينضح، وقوله ﷺ: «**يبعث كل عبد على ما مات عليه**»[1].

- **دخلوا على رجل عشق المردان والولدان في سكرات الموت فأخذ يتغنى في ولدٍ اسمه أسلم فقال:**

يا أسلم يا راحة العليل ... وشفاء المدنف النحيل
لقاك أشهى إلى فؤادي ... من رحمة الخالق الجليل

---

(١) رواه مسلم (٧٤١٣).

فقالوا: اتقِ الله فقال هو ذاك فسمعوا صرخة الموت ونعوذ بالله من سوء العاقبة وشُئم الخاتمة بكرمه.

- ويذكر أنه سافر شاب لبلاد الكفار. لفعل المعصية وتحصيل الشهوات والملذات والحرام، وتأخرت عشيقتهُ عليه فلما رآها طار لها فرحاً ثم سقط ساجداً تحت قدمِها فكانت السجدة الأخيرة والنهاية الشنيعة والموتة البشعة والفضيحةُ المخزية نعوذ بالله من سوء الخاتمة مات ساجداً لغير الله(١).

- واعلم أن سوء الخاتمة أعاذنا الله منها لا يكون لمن استقام ظاهرُه وصلح باطنهُ وإنما يكون ذلك لمن كان له فساد في العقل وإصرار على الكبائر وإقدام على العظائم فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة ووثب عليه قبل الإنابة ويأخذه قبل إصلاح الطوية فيصطلمه الشيطانُ عند تلك الصدمة ويختطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله ثم العياذ بالله.

❊ ❊ ❊

(١) ذكرها الشيخ سعد بن بريك في أحد أشرطته.

ذكر القبور

إني أبثُك من حديثي والحديثُ له شجون
غيرتُ موضع مرقدِي يوماً ففارقني السكون
قل لي فأولُ ليلة في القبر تُرى كيف تكون

وعن الحسن قال: يومان وليلتان لم تسمع الخلائقُ بمثلهن قط: ليلة تبيتُ مع أهل القبور لم تَبِتْ ليلة معهم قبلها وليلة صبيحتها يوم القيامة ويوم يأتيك البشيرُ من الله تعالى إما إلى الجنة وإما إلى النار ويوم تُعطى كتابك إما بيمينك وإما بشمالك.

قال ﷺ: «**إن للقبر ضغطةً لو كان أحدٌ ناجياً منها لنجا سعد بن معاذ**»[(١)].

وأنزلوني في قبري على مهلِ وأنزلوا واحداً منهم يلحدُني
وكشف الثوبَ عن وجهي لينظرني وأسبل الدمعَ من عينيه أغرقني
فقام مُحتدماً بالعزم مشتملاً وصففَ اللَبِنَ من فوقي وفارقني

أيها الأخ الحبيب لحظات ويتفرقُ من حولَك وتبقى رهين عملك ويصبح قبرُك روضة من رياض الجنة أو

---

(١) رواه أحمد في مسنده وصححه شعيب الأرنؤوط (٦/ ٥٥ رقم ٢٤٣٢٨)

حفرة من حفر النار والعياذ بالله.

- واعلم رحمك الله أن في القبر وظلمته وضيقه ووحشته وطرح الميت فيه غير موّسد ولا ممّهد قدْ باشر الثرى[١] وواجه البلى وترك دنياه للورى ونبذ منها ما كان في يديه بالعراء مع حبيب تركه وقريب أسلمه ونصير أفرده وتركَ ما كان عقده ما يفطم النفوس عن الشهوات وإن كانت صعبةَ الفطام ويقطعُها عن اللذات وإن كان قطعُها بعيد المرام إذا بحث عن الحقيقة ونظر بعين البصيرة وسمع النداء من قريب.

- فبينما المرءُ مسروراً في عيشته مرتكضاً في أمنيتّه غافلًا عن يوم صرعته ومنِيّته قد فتح للهوِّ بابه وأرسل عليه حجَابه ولم يبال بمن لامَه في ذلك أو عابه إذ هجمت عليه المنيّةُ فهتكت أستَاره وكسفت أنوارَه وطمست أعلامَه وآثاره فأخرجته من ذلك القصر المشيد والمنزل المنجد والمتاع المزخرف المنضد إلى حفرة من الأرض سوداء ضيّقةٍ الجوانب والأرجاء مملوءة من الرعب والفزع ما شاء فحذار رحمك الله أن تُنزع هذا المنزع والبدار البدار أن تُصرعَ هذا المصرع فيفتُ في عضدك ويُسقط في يدك

(١) يعني: التراب.

ويُرمىٰ بك عن أهلك وولدك في مهواة تزدحمُ فيها الأهوال وتنقطعُ فيها الآمالُ قد جُمعتَ فيها جمعا ورُصّعت فيها رصعاً وتُركت للهوام والدود طعما ومرعى.

يا نائما والمنون تُّقضى — وغائباً والموت أوفى
جاءك أمرٌ وأي أمرٍ — طم على غيرَه وعفىّ
هل بعد هذا المشيب شيءٌ — غيرُ ترابٍ عليك يُحفى
فليس ذا بالأمر بالهويني — ولا كشيء عليك يخفى
من بعد ما المرء في براحٍ — يهتزُ تيهاً به وظرفا
ساكنُ نفس قريرُ عينِ — يرشفُ ثغرَ النعيمِ رشفا
إذ عصفت في ذراه ريحٌ — تقصفُ كلَ الظهور قصفا
فبات في أهله حصيداً — قد جعفته المنونُ جعفا
فعاد ذاك النعيمُ بؤساً — وصار ذاك السكونُ رجفا
وسيق سوقاً إلى ضريح — يُرصف بالرغم فيه رصفا
وبات للدود فيه طُعما — وللهوام العطاش رشفا
وليته لم يكن رهيناً — بكل ما قد هفا وأهفا

كان عثمان يبكي عند القبر فلما سألوه قال سمعت النبي ﷺ يقول: «**القبرُ أولُ منزلٍ من منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبهُ فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما**

بعده أشد منه»[١].

وسمعت النبي ﷺ يقول: «**ما رأيت منظراً قط إلا والقبرُ أفظعُ منه»**[٢].

قال مجاهد: ما يشغلك عن القبر وهو يتكلم كل يوم ويقول: أنا بيت الغربة، أنا بيت الوحشة أنا بيت الظلمة أنا بيت الوحدة أنا بيت التراب هذا ما أعددت لك يا بن آدم فما أعددت لنفسِك.

قال بعضُ الحكماءِ أربعةُ أبحر لأربعة: الموت بحرُ الحياة والنفسُ بحرُ الشهوات والقبرُ بحرُ الندامات وعفو الله بحر الخطيئات.

رأى رجلٌ صاحباً له في المنام فقال: ما عندكم؟ فقال: الميت: ما عندنا أكثر من الندامات. وأنتم ما عندكم أكثر من الغفلات.

فإن تنجُ منه تنج من ذي عظيمة وإلا فإني لا أخالُك ناجياً.

قال أبو الدرداء ألا أخبركم بيوم فقري يوم أنزل قبري.

- **وكان جعفر الصادق يأتي القبورَ ليلًا ويقول**: يا أهل

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١/ ٦٣ رقم ٤٥٤).

(٢) المرجع السابق.

القبور مالكم إذا دعوتكم لا تجيبون وإذا سلمتُ عليكم لا تردوّن ثم يقول حيل والله بينهم وبين الجواب وكأني أكون مثلهم وأدخلُ في جملتهم.

قال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه: يا فلان لقد أرِقتُ البارحة تفكراً في القبر وساكنِه إنك لو رأيت الميت في قبره بعد ثلاث لاستوحشت منه بعد طول الأنس به ولرأيت بيتاً تجول فيه الهوامُ ويجري فيه الصديدُ وتخترقه الديدانُ مع تغيرّ الريح وتقطع الأكفان وكان ذلك بعد حُسنِ الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب ثم شهق شهقة ثم خرَّ مغشياً عليه.

يا مكفن الميت وحامِلَه يَا مدليه في قبره وراحلًا عنه لَيت شعري كيف نمتَ على خشونة الثرى يا ليت شعري بأي خديك بدأ البلى يا مجاورَ الهلكى صرت في محلة الموتى ليت شعري ما الذي يلقاني به ملكُ الموتِ عند خروجي من الدنيا وما يأتيني به من رسالة ربي.

ثم نشد بعد ما أفاق:

تُغرُ بما يفنى وتُشغل بالصبا لقد غرّ باللذات في النوم حالمُ
نهارُك يا مغرورُ سهوٌ وغفلةٌ وليلُك نوم والردى لك لازم

وتعمل فيما سوف تكرهُ غِبَّه   كذلك في الدنيا تعيشُ البهائمُ

ثم انصرف فما بقي بعد ذلك إلا جمعة حتى مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وشيّع يومًا جنازةً ثم التفت إلى القبر فقال أسألك عن الميت عن ساكنك وجارك وما أدرى أي شيء حاله فقال القبر: أسلتُ المقلتين على الخدين وفرقت الأكفان وأكلتُ الأبدان فلما ذهبت ناداني يا عمر عليك بكفنٍ لا يبلى قلت وما كفن لا يبلى قال تقوى الله والعمل الصالح.

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٨٨-٩٥].

عن أبي أيوب - إذا قُبضت نفس المؤمن تلقاها أهل الرحمةِ من عباد الله كما يتلقون البشير في الدنيا فيقبلون عليه يسألونه فيقول بعضهم لبعض انظروا أخاكم حتى يستريح فإنه كان في كرب شديد فيقبلون عليه يسألونه ما فعل فلان ما فعلت فلانه هل تزوجت فإذا سألوه عن

الرجل قد مات قبله فيقول إنه هلك فيقولون: إن لله وإنا إليه راجعون ذُهب به إلى أمِّه الهاوية فبئست الأمُ وبئست المربّية.

عن عمرو بن دينار ما من ميت يموت إلا روحُه في يد ملك ينظر إلى جسده كيف يُغسّل وكيف يُكفّن وكيف يُمشى به ويقال له وهو على سريره اسمع ثناء الناس عليك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

والكافر والفاجر ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٧].

وكان سلفُنا الصالحُ لا يفارقهُم التفكيرُ في الآخرةِ فإن رأَوْا من نعيم الدنيا تذكروا نعيم الجنة وإن رأوا من شدة الدنيا وقسوتها تعوذوا بالله من النار وكان هشام بن أبي عبد الله إذا فقد السراج في بيته تململ على فراشه وكانت امرأتُه تأتيه بالسراج فسألته عن ذلك فقال إذا فقدت السراجَ ذكرتُ ظلمةَ القبر.

سأل غريبٌ رجلًا عن العمران فقال: أصعد الرابية تُشرِفْ على العمران فصعد فأشرف على القبور فعاد

فقال: سألتُك عن العمران فدَللتني على القبور والخراب فقال: لقد رأيت أهل هذا العمران يُنقلون إلى القبور والتراب ولم أر أحداً من أهل القبور يُنقل إلى هذا العمران وإنما يُنتقل من الخراب إلى العمران. فهناك العمران وهنا الخراب.

وكان يزيد الرقاشي رَحِمَهُ اللَّهُ **يقول**: أيها المقبور في حفرته المستخلي في القبر بوحدته المستأنس في بطن الأرض بعمله ليت شعري بأي أعمالك استبشرتَ وبأي أحوالك اغتبطت ثم يبكي حتى يبل عباءته ثم يقول استبشر والله بأعماله الصالحة واغتبط بإخوانه المعاونين له على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ .

قال حاتم الأصم: من مرّ بفناء القبور ولم يتفكر في نفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه.

تفكّر في شيبك والمآب ودفنِك بعد عزِّك في التراب
إذا وافيت قبراً أنت فيه تقيم به إلى يوم الحساب
وفي أوصال جسمك تبقى مقطعة ممزقة الأهاب
فطلّق هذه الدنيا ثلاثاً وبادر قبل موتك بالمتاب

وكان بكر العابد يقول لأمه: يا أماه ليتكِ كنتِ بي عقيماً

وإن لابنك في القبر حبسا طويلًا وإن له من بعد ذلك رحيلًا.

وكان عطاء السُلمي إذا جن الليل يخرج إلى القبور فيقول مُتّمْ فوا موتاه وعاينتم أعمالكم فوا عملاه ثم يقول غداً أكون في القبور فلا يزال ذلك دأبه إلى الصباح.

وقال أحمد بن حرب رَحِمَهُ اللَّهُ: تتعجب الأرضُ ممن يمهّدُ مضجعه ليسّوي فراشَه للنوم تقول: يا ابن ألا تذكر طُولَ رقادِك في جوفي وما بيني وبينك شيء.

نصَحتُك فاستمع قولي ونصحى فمثلُك يُدَلُ على الصواب
خُلِقنا للممات ولو تُركِنا لضاق بنا الفسيح من الرحاب
يُنادى في صبيحةِ كلِّ يومٍ لدُوا للموتِ وابنوا للخراب

ومرّ علي على المقابر فوقف عليها فقال السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضي في جميع أحواله عن الله تعالى فقال لهم أمّا أنتم فأزواجكم قدْ نُكحت وبيوتكم قدْ سُكنت وأموالكم قد فُرِّقت ثم قال: والله لو تكلّموا لقالوا ما وجدنا خيراً من التقوى ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا

فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٨٧].

دخل رجل على عمر بن عبد العزيز فرآه قد تغيّر لونه من كثرة العبادة واستحالت صفته فجعل يتعجبُ من تغيّر لونه فقال له عمر وما تعجبك يا بن أخي وما تعجبك مني فكيف لو رأيتني بعد دخول قبري بثلاث وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان عن الأسنان وخرج الصديدُ والدودُ من المناخر والفم وانتفخ البطنُ فعلا على الصدر وخرج الصلب عن الدبر لرأيت إذا ذاك مني أعجبَ مما رأيت الآن.

في ظلمة القبر لا أمٌ هناك ولا أبٌ شفيقٌ ولا أخ يؤنسني

ويروى أن بعض المتعبدين أتى قبراً كان يألف صاحبه فأنشأ يقول:

مالي مررت على القبور مُسلّما قبر الحبيب فلا يردَ جوابي
فأُجبتُ مالَكَ لا تجيب منادياً أَمَلَلْتَ بعدي خلة الأصحاب
أكل الترابُ محاسني فنسيتكم وحُجِبتُ عن أهلي وعن أحبابي

قال فهتف بي هاتف يقول:

قال الحبيبُ وكيف لي بجوابكم وأنا رهين جنادل وترابِ
فعليكم مني السلام تقطعت مني ومنكم عقدةُ الأسباب

أتى مالك بن دينار القبور فقال:

أتيتُ القبورَ فناديتُها أين المعظِم والمحتقر
وأين المُدلُ بسلطانه وأين العزيز إذا ما افتخر

قال فنوديت من بينها أسمع صوتاً ولا أرى شخصاً:

تفانوا جميعاً فلا مخبر وماتوا جميعاً ومات الخبر
وصاروا إلى ملكٍ قاهر عزيز مطاع إذا ما أمر
تروح وتغدو بنات الثرى[1] وتمحو محاسنَ تلك الصور
فيا سائلي عن أناسٍ مضوا أمالك بما ترى مُعتبر
لقد قلد القومُ ما قدّموا فإما نعيمٌ وإما سقر

قال مالك رجعت وأنا أبكي.

سألت الدار تخبرني عن الأحباب ما فعلوا
فقالت لي أقام القوم أياماً وقد رحلوا
فقلت وأين أطلبُهم وأي منازل نزلوا
فقال في القبور ثوَوْا رهاناً بالذي فعلو

مرّ شاب بالحسن البصري وعليه بردة له حسنة فدعاه

(١) الموت.

فقال ابن آدم معجبٌ بشبابه معجبٌ بجماله كأنّ القبر قد دنا ووارى بدنك وكأنك قد لاقيت عملك ويحك داوِ قلبك فإنه حاجةُ الله إلى العباد صلاح قلوبهم.

ويُحكى أن رجلًا جاء إلى المقبرة ودعا للأموات فنام عند القبر. فكلمه ميتٌ منهم بالمنام فقال يا هذا: إنكم تعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نعمل ركعتان في صحيفتي أحبّ إليَّ من الدنيا وما فيها وقال بعض الصالحين: مات أخ لي في الله فرأيته في النوم فقلت يا فلان ما فعل الله بك عشتَ الحمد لله رب العالمين قال لي: لأن أقدر على أن أقول الحمد لله رب العالمين أحبّ إلي من الدنيا وما فيها.

فمن رأى قبراً فإنما رأى واعظاً يعظه ومُذكّرا يذكرّه فإن كان القبر ساكتاً فإنه ناطق بلسان الحال ومفصح بما يكون منك في المآل فكأنه إنّما يخاطبك إنسان ويبيّن لك عاقبتك ويقول يا هذا كنت حيّا مثلك وقدِمتُ فضيّعت أمر ربي وندمت وكذلك إن ضيعت أمر ربك ستندم ولا تنفعك حينها الندامة مثلي.

والسعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ بنفسه وإنما هي

ساعة واحدة وإن طال المدى وامتد العمر واتصلت الأيام.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [يونس: ١٢٨].

تناجيك أجداث وهن سكوت وسكانُها تحت التراب خفُوت
أيا جامع الدنيا لغير بلاغه لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

وقال آخر:

كم ساكنُ في حفرة يبلى جديدٌ جمالِه
تركَ الأحبةَ بعده يتلذذون بماله

قال آخر:

يا باكي الميت على قبره أمضي ودعه سوف تسلاه
من عاين الموتَ فذاك الذي لم تر مثل الموتِ عيناه

❊ ❊ ❊

الموت ما منه ملاذٌ ولا مهرب

زار المصطفى قبر أمه فبكى وأبكى الناس من حوله وقال ﷺ: «**استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي واستأذنتُ في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر بالموت**» وقال ﷺ: «**نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن في زيارتها تذكرة**»(١).

وقوله ﷺ: «**من أراد أن يزور قبراً فليزره ولا تقولوا هجرا**»(٢). وكان ﷺ إذا أتى المقابر قال: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع أسأل الله لنا ولكم العافية**»(٣).

أنا مشغول بذنبي عن ذنوب العالمينا
وخطايا موبقات تركت قلبي حزينا

---

(١) رواه أبو داود.
(٢) رواه النسائي.
(٣) رواه مسلم.

ولقد كنتُ خليلًا في عيون الناظرين
صرتُ في ظلمة قبري خالياً فيه رهينا
في ثرى الأرض وحيداً في جوار الهالكينا
وتركت الأهل والمال لعمري والبنينا
ولقد عمرّت دهراً بعد أحقاب سنينا
في نعيم وسرور فوق وصف الواصفينا

قال أبو الدرداء ألا أخبركم بيوم فقري يوم أنزل قبري. وبات هرم بن حّيان عند حممة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلما أصبح بكى قال هرم ما أبكاك قال حممة ذكرتُ ليلة صبيحتها تبعثر القبور فيخرج من فيها ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ٤].

قال السرى اجعل قبرك خزانتك احشوها من كل عمل يمكنك فإذا وردت على قبرك سرَّتك ما ترى فيه» آنس الله وحشتك ورحم الله وحدتك. أنت في صحبة البلى أحسن الله صحبتك.

* * *

ذكر ما يجرى في القبور

مرّ محمد بن واسع على المقابر فدمعت عيناه فقال لصاحبه يا أبا عاصم لا يغرنك ما ترى من خمودهم فكأنك بهم قد وثبوا من هذه الأجداث من بين مسرور ومهموم.

من كان حين تصيب الشمسُ جبهتَه ... أو الغبارُ يخاف الشينا والشعثا
ويألفُ الظل كي تبقى بشاشتُه ... فسوف يسكن يوماً راغمًا جدثاً
في ظل مقفرةٍ غبراء مظلمة ... يطيل تحت الثرى في غمّه اللبثا
تّجهزي بجهازٍ تبلغين به يا نفسُ ... قبل الردي لم تُخلقي عبثاً

ولما سألت عائشة النبي ﷺ عن أهل القبور وهل يعذبون ويُفتنون في القبور فقال: «**إنهم يُعذبون عذاباً تسمعه البهائم ثم ما رأيته بعد إلا يتعوذ بالله من عذاب القبر**»(١).

وكان ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «**استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل**»(٢).

وقال ﷺ: «**في قوله تعالى:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] **قال نزلت في عذاب القبر**

---

(١) رواه النسائي.
(٢) أخرجه أبو داود.

حين يُسأل عن ربه ودينه ونبيه ﷺ.

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن العبد إذا وُضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ فأمّا المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة قال رسول الله ﷺ فيراهما جميعاً وأما الكافر أو المنافق فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال له لا دريت ولا تليت ثم يضرب ضربةً بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين ذكره البخاري وقال ويضرب بمطرقة من حديد بين أذنيه فيصيح**»[(١)].

* * *

(١) رواه البخاري (١/ ٤٤٨ رقم ١٢٧٣).

أسباب عذاب القبر

١- **الشرك والكفر بالله** ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. المراد بالنار هنا نار القبر.

وفي حديث البراء يقولان له: «لا دريت ولا تلوت فينادى فيناد منادٍ من السماء أن كذب فأفرشوا له من النار وافتحوا له باباً إلى النار وفي حديث أبي أيوب لما سمع ﷺ صوتاً قال يهود تُعّذب في قبورها»[١].

٢- **النفاق**: في حديث البراء وأما المنافق أو المرتاب فيقال له لا دريت ولا تلوت.

٣- **عدم الاستبراء من البول والنميمة**: كما في حديث النبي ﷺ: «**إنهما ليعذبان وما يُعذبان في كبير**» ثم قال إنه لكبير «**كان أحدهما لا يستترُ من بوله وكان الآخر يمشي بالنميمة**»[٢].

وقال ﷺ: «**أكثرُ عذاب القبر من البول**»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤١٧).

(٢) رواه البخاري (١٣٠٩).

(٣) رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

٤- **الكذب**: جاء في حديث الإسراء وأما الرجل الذي أتيت عليه يُشرشر شدقه إلى قفاه ومنخرهُ إلى قفاه وعينُه إلى قفاه فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق ورواية فيصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة.

(٥، ٦) هجر القرآن والنومُ عن الصلاة المكتوبة: ففي حديث الإسراء(١) «فإذا برجل يهوى بالصخرة على رجل مضطجع وإذا آخر قائم وعليه بصخرة وإذا هو يهوي بالصخرة على رأسه فيثلغُ رأسه فيتدهده الحجر ها هنا وها هنا فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصح رأسهُ كما كان ثم يعود وعليه فيفعل به مثل ما فعل في المرة الأولى، فقال ﷺ سبحان الله سبحان الله من هذا يا جبريل»، «فقال جبريل عليه السلام وأما الرجل الأول الذي أتيت عليه تُثلغُ رأسهُ بالحجر فإنه الرجل يأخذُ القرآن فيرفُضه وينام عن الصلاة المكتوبة» وفي رواية: «فرجل علمّهُ اللهُ القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار يُفعلُ به إلى يوم القيامة». قلت: هذا العذاب في التأخر عن

---

(١) الحديث عند النسائي في الكبرى.

الصلاة والنوم عنها هذا العذاب فكيف بمن يتركها البتة. نسأل الله العافية والسلامة.

٧- **أكل الربا**: وفي نهاية الحديث السابق: «وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في نهر الدم ويلتقم الحجر فإنه آكل الربا».

٨- **الزنا**: قال ﷺ: «فانطلقنا فأتينا على مثل التنور فإذا فيه لغط وأصوات[١] قال فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساءٌ عراة وإذا هم يأتيهم لهبٌ من أسفل منهم إذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوْ»[٢] «فقال جبريل عليه السلام فإنهم الزناة والزواني».

٩- **الغيبة**: ففي الحديث قال ﷺ: «**وأما الآخرُ فيُعذّب في الغيبة**»[٣].

١٠- **جر الإزار خيلاء**: قال ﷺ: «**بينما رجلٌ يجرُ إزاره إذا خُسِف به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة**»[٤].

١١- **إيذاء الناس باللسان**: قال ﷺ «**كان أحدُهما لا يستترُ**

(١) يعني: صراخ وعويل.
(٢) يعني: صاحوْ.
(٣) أخرجه البخاري.
(٤) أخرجه البزار، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤/ ٨١ رقم ١٥٠٧

من البول وكان الآخرُ يؤذي الناس بلسانه ويمشي بينهم بالنميمة»[١].

١٢- **حبسُ الحيوان وتعذيبُه**: قال ﷺ: «**وعُرضت عليّ النارُ فرأيت فيها امرأة من بني إسرائيل تعذب في هرة لها ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»**[٢].

١٣- **الدَيْن**: في حديث أبي قتادة مع الدَيْن لما أداها عن الرجل قال ﷺ: «**الآن حين بردت عليه جلدته**»، وفي رواية إنه مأسور بدينه عن الجنة[٣].

١٤- **الغلول من المغانم**: لما قال الصحابة للذي أصابه سهم غرب هنيئًا له الجنة قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارًا»**[٤].

١٥- **الإعراض عن ذكر الله**: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ قال ابن القيم المعيشة الضنك عذابُ القبر.

---

(١) رواه البخاري ٥/ ٢٢٥٠، رقم ٥٧٠٨ .

(٢) رواه مسلم (٧/ ٤٣، رقم ٥٩٨٩).

(٣) رواه أحمد، وأبو داود والبزار وإسناده حسن.

(٤) المسند الجامع.

١٦- النياحة على الميت: قال ﷺ «**إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه**» ورواية: «**الميتُ يُعذب في قبره بما نيح عليه**»(١).

١٧- **الإفطارُ في رمضان قبل الأذان**: وفي حديث الإسراء أنه ﷺ: صعد في سواء الجبل فإذا بأصوات شديدة قلت: «**ما هذه الأصوات قالوا هذا عواء أهل النار ثم انطلق بي فإذا أنا بقوم مُعّلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل أشداقهم دمًا قلت: من هؤلاء قال: الذين يفطرون قبل تحلّة صومهم**»(٢)، فكيف بمن لا يصوم كيف سيكون عذابه.

١٨- من منعت لبنها عن طفلها بغير عذر: قال ﷺ: «**ثم انطلق بي لي فإذا أنا بنساء ينهشن ثديهن الحياتُ قال قلت ما بال هؤلاء، قال هؤلاء يمنعهن أولادَهن ألبانهن**»(٣).

١٩- **اللواط**: قال بن عباس رضي الله عنه إن الذي يعمل عمل قوم لوط إذا مات من غير توبة يُمسخ في قبره خنزير.

٢٠- السرقة: في حديث الكسوف قال ﷺ: «**وحتى رأيت**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه النسائي في الكبرى.

(٣) رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما واللفظ لابن خزيمة.

فيها صاحب المحجن يجر قصبته في النار كان يسرقُ الحاج بمحجنه فإن فُطن له قال: إنما تعْلق بمحجني وإن غُفِل عنه ذهب به»[١].

٢١- أمرُ الناس بالبر ونسيان النفس ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾».

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣].

وقال ﷺ: «**رأيت ليلة أسري رجالًا تُقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت: من هؤلاء يا جبريل قال الخطباءُ من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفُسهم وهم يتلون الكتابُ أفلا يعقلون**»[٢].

* * *

(١) رواه مسلم.
(٢) أخرجه أبو يعلى ١/ ١٩٨، وحسنه الألباني.

الأسباب المنجية من عذاب القبر

أولًا: الإيمان والتقوى والعمل الصالح: قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾وعدهم الله بأن يجعل لهم مخرجاً من كل ضيق وليس هناك شدةُ ولا ضيق أعظم من شدة السكرات وخروج الروح ودخولُ القبر.

فمن كان في الدنيا تقياً فإن الفرج والمخرج يكون له ثواباً في قبره.

ثانياً: الشهادة في سبيل الله: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ تِسْعَ خِصَالٍ - أَوْ قَالَ: عَشَرَ خِصَالٍ - يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُحَلَّى حِلْيَةَ الْإِيمَانِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيَأْمَنُ يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ: الْيَاقُوتَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ**»[١].

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم ٦٢٩ (ج٢ ص ٢٦٦).

قال رجل للنبي ﷺ: ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد.

قال النبي ﷺ: «**كفىٰ ببارقة السيوف على رأسه فتنة**»(١).

وقال النبي ﷺ: «**من سأل الله الشهادة بصدق بلّغهُ الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**»(٢).

وقال ﷺ: «**الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله، المطعون شهيد والغريق شهيد وصاحب ذات الجنب شهيد والمبطون شهيد والحرق شهيد والذي يموت تحت الهدم شهيد والمرأة تموت بجمع شهيدة**»(٣)، يعني: تموت في بطنها ولد.

ثالثاً: المرابطة في سبيل الله: قال ﷺ: «**رباطُ يوم في سبيل الله أفضل من صيام شهر وقيامه من مات فيه وُقيٍ فتنة القبر ونما له عمله إلى يوم القيامة**»(٤).

---

(١) رواه النسائي ١/ ٢٨٩، وصححه الألباني في صحيح النسائي ٥/ ١٩٧ رقم ٢٠٥٣.

(٢) رواه مسلم

(٣) رواه مالك في الموطء، وأحمد وابن حبان.

(٤) رواه أحمد وفيه ابن لهيعه.

وقال ﷺ: «**كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإن ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتّان القبر**»(١).

رابعاً: قراءة سورة تبارك: قال ﷺ: «**سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر**»(٢).

وجاء في الحديث ﷺ: «**وددتُ أنها في قلب كل مسلم**»(٣).

خامساً: تجنب أسباب عذاب القبر: كالغيبة والنميمة وعدم الاستبراء والتنزه من البول وهجر القرآن وعدم العمل به والكذب والزنا والربا وعمل قوم لواط وكذلك يجب تجنبُ الأسباب التي تؤدي إلى سوء الخاتمة وهي (الشك والجحود الذي تسببه البدع وفساد المعتقد والنفاق وحب المعاصي والإصرار عليها وتعلق القلب بغير الله والانتحار والعدول عن الاستقامة وتسويف التوبة وحب الدنيا وطول الأمل).

(١) رواه أحمد، وأبو داود وصححه الألباني.
(٢) رواه الحاكم.
(٣) ضعفه الألباني في الترغيب والترهيب.

سادساً: التوبة الصادقة عند الموت: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

سابعاً: الموت في ليلة الجمعة أو في يوم الجمعة: قال ﷺ: «**ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر**»(١).

ثامناً: الدعاء: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ وعلمنا ﷺ الدعاء بعد التشهد بأربع دعوات مباركات فقال: «**وأعوذ بك من عذاب القبر**»(٢).

تاسعاً: شرب ماء زمزم قال رسول الله ﷺ: «**ماء زمزم لما شرب له**»(٣) وكان ابن عباس إذا شرب من ماء زمزم قال: «اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وشفاءً من كل داء».

فنسأل الله أن ينجينا وإياكم ومن عذاب القبر وأن يدخلنا وإياكم الجنة برحمة أرحم الراحمين.

---

(١) رواه الترمذي وحسنه الألباني.
(٢) أخرجه الترمذي.
(٣) أخرجه ابن ماجه في كتاب المناسك.

ذكر يوم القيامةِ وأهواله

يضحك المرءُ والبكاءُ أمامه ... ويرومُ البقاءَ والموتُ رامه
ويمشي الحديثَ في كل لغو ... ويخلي حديث يوم القيامة
ولأمرٍ بكاه كلُ لبيب ... ونفى في الظلام عنه منامه
صاح حدثُ حديثَه واختصره ... فمحال بأن تطيق تمامه
عجز الواصفون عنه وقالوا ... لم نجئ من بحاره بعظامه
فلتحدثه جملةً وشتاتاً ... ودع الآن شرحهُ ونظامه

واعلم رحمك أن هذا اليوم ليس عِظَمُه مما يوصف ولا هَوُله ممّا يكيّف ولا يجرى على مقدار مما تعلم في الدنيا ويعرف بل لا يعلم مقدار عظمه ولا هوله إلا الله تعالى وما ظنك بيوم عبر الله تبارك وتعالى عن بعض ما يكون فيه بشيء عظيم قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ (١) يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ [الحج: ١-٢].

وماذا عسى أن يقول القائل فيه وماذا عسى أن يصفه

الواصف به والأمر أعظم والخطب أكبر والهول أشنع. والساعة أدهى وأمر.

❊ ❊ ❊

ذكر النفخ في الصور

وما عسى أن أقول أو أقوم به الأمر أعظم مما قيل أو وُصفا
والأمر مهما قد نظرت له ألفيته الأعظم الألفّا (الشديد)

يوم القيامة وما أدراك ما يوم القيامة يوم الحسرة والندامة يوم يَجدُ كلُ عامل عملَه أمامه يومُ الزلزلة يوم الواقعة يوم الراجفة يوم الغاشية يوم الآزفة يومُ العذاب يوم القرار إما في الجنة وإما في النار يوم الفزع الأكبر يومُ البكاءِ الطويل يومُ الصيحة يومُ الرجفة يومُ الانفطار يوم تبلى السرائر يوم تخرج الضمائر يوم لا تغني نفس عن نفس شيئا يوم يُسجن فيه في النارِ وتقلبُ الوجوه في النار يوم لا تنفعُ المعذرة يومُ الخلود وما أدراك ما يوم الخلود يوم لا انقطاع لعذابه ولا آخِرَ لعقابه نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من بلائه وسوء قضائه بكرمه ورحمته.

يروى عن الشعبي قال: لقي جبريل عيسى عليه السلام فقال له عيسى متى الساعة فنفض جبريل عليه السلام أجنحته وقال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة وأما تقريب وقتها فكل آتٍ

قريب ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ [الأنعام: ١٣٤] وقال عز من قائل: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٧] وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١-٣].

ويروى أن النبي ﷺ لما نزل عليه ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ وثب قائماً فلما نزل قوله ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ جلس(١).

قال بعض العلماء إنما وثب ﷺ خوفاً من أن تكون الساعة قد قامت وقال ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهاتين وقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى**»(٢).

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ وذكر خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام وقتله الدجال ثم خروج يأجوج ومأجوج عليه ثم هلاكهم ثم ذكر ما يكون من بعد ذلك من البركات والخيرات قال فبينما هم كذلك إذ بعث الله تعالى ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم

---

(١) ذكره مؤلف العاقبة.

(٢) رواه مسلم.

فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرارُ الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ وذكر خروجَ الدجال ومقتله فيرجع الناسُ إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدبٍ ينسلون لا يمرون بماء إلّا شربوه ولا بشيء إلا أفسدوه فيجأرون إلى الله فيلجأون إلى عيسى فيدعو الله فيميتهم فيملأ الأرضَ ريحهُم فيجأرون إلى الله عَزَّ وَجَلَّ فُيرسل من السماء ماء فيحملُ أجسامَهم فيلقيهم في البحر ثم تُنسف الجبال وتُمدْ الأرضُ مَد الأديم فعهد الله إليَّ أنه إذا كان ذلك فإن الساعة من الناس كالحامل المتم التي لا يدري أهلُها متى تفجؤهم بولادتها ليلًا أو نهاراً قال ابن سمعان وتصديقُ ذلك قوله تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٦](١).

قال ﷺ: «**خيرُ يوم طلعت فيه الشمسُ يومَ الجمعة فيه خلق اللهُ آدمَ وفيه أهُبط وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقام**

(١) سنن ابن ماجة حديث رقم (٤٢١٩).

الساعةُ وما من دابة إلا وهي مصخيةٌ يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلعَ الشمسُ شفقاً من الساعة إلا الجن والإنس وفيها ساعةٌ لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه»(١).

وقال ﷺ: «**ما زال صاحبُ الصور يعني إسرافيل مُذْ وُكّل به مستعداً ينظرُ نحو العرش أن يؤمر فينفخ قبل أن يرتد إليه طرفُه كأن عينيه كوكبان دُريّان**»(٢) وذكر النبي ﷺ صاحب الصور فقال عن يمينه جبريل وعن يساره ميكائيل.

❊ وذكر مسلم قال ﷺ: «**ما بين النفختين أربعون**»(٣) قالوا يا أبا هريرة أربعون عاماً قال أبيت قالوا أربعون شهراً قال أبيت قالوا أربعون يوماً قال: أبيت ثم يُنزِلُ اللهُ من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل قال وليس شيء من الإنسان إلا ويبلى إلا عظماً واحداً وهو عَجبُ الذَنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة».

❊ ❊ ❊

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني.
(٢) رواه الحاكم في مستدركه وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.
(٣) رواه مسلم (٢٩٥٥).

انبعاث الناس من القبور

ذكر مسلم بن الحجاج من حديث أم سلمة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يعوذ عائذُ بالبيت فيبعث اللهُ بعثاً فإذا كانوا ببيداء من الأرض خُسِف بهم**».

قلت يا رسول الله فكيف بمن كان كارها؟ فقال رسول الله ﷺ: «**يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته**»[(١)].

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد اللهُ بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم**»[(٢)].

وعن جابر: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يبعث كل عبد على ما مات عليه**»[(٣)].

واعلم رحمك الله إنه إن لم تشق سمعك النفخةُ الأولى في الصور لهلاك هذا المعمور فلابد أن تشق سمعك النفخة

---

(١) رواه مسلم (٨/ ١٦٦، رقم ٧٤٢١).
(٢) رواه البخاري (١٨/ ٥، رقم ٧١٠٨).
(٣) رواه مسلم (٨/ ١٦٥، رقم ٧٤١٣).

الثانية لبعثرة القبور.

وعن أبي ذر قال النبي ﷺ: «**الشام أرض المحشر والمنشر**»[١].

ويروى أن المنادي ينادي على صخرة بيت المقدس: «**أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء**»[٢].

وهذا النداء خلاف الصيحة العظمى فتفكر وأطل فكرك في عظيم تلك الصيحة وشدة تلك النفخة وتخيل قيام الناس وثورانهم من قبورهم دفعة واحدة وانبعاثهم مرة واحدة وأنت بينهم وفي جملتهم قد انكسف وجهك وتغير لُونك متعثر قدمك قد ملأ قلبك الفزع وقصم ظهرك ذلك المُسَتمع وأنت حيران عطشان لهفان شاخص البصر نحو النداء مستمعاً إلى ذلك الدعاء لو وجدت مطاراً لطِرت ومفراً لفررت ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ أَيَّانَ﴾ [المدثر: ١٠-١٣] وعن بلال أنه قال: إن للناس جولة يوم القيامة وهو قوله تعالى:

(١) رواه ابن ماجه وصححه الألباني.
(٢) لم أجده وذكره المؤلف في العاقبة.

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾ [سبأ: ٥١].

ناد في القوم بيوم التناد   وأعِدْ فيهم حديث المعاد
فالحدثِ اليوم في غير هذا   محدثٌ في القلب صدع الفؤاد
وخلو القلب عن ذكر يوم   ذكرهُ أذهب طيب الرقاد
ولأمرٍ ما بكاه رجال   في الدياجي كبكاء العهاد
أي يوم ضاق عن حالتيه   وصف وصاف بليغ وشاد
مشهد تبيضّ فيه وجوه   ووجوه قد طليت بالحداد
يجعل الولدان شيبا ويرمى   بالجبال العالية وسط الوهاد
وترى الناس سكارى وما هم   بسكارى غير سكر التناد
فدع الدار وما دار فيها   من تليدٍ كان أو من تلاد
واقطع الأرض على ظهر طَوْد   نازلًا منه إلى بطَن واد
طالباً كهف نجاة لتنجو   رائحاً في نيل ذاكم وغاد
واجهد النفس وجاهد هواها   فمراد الحق ترك المراد

وقال تعالى: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا﴾ [الإسراء: ٩٧] فتفكر في حيرتك وانكسارك وذُلِّكَ وافتقارك وقِلتّك يوم لا تجد إلا عملك الذي عملت وسعيك الذي سعيت قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ

مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٣٠].

واذكر رقادك في الثرى في قعر مظلمةٍ بهيم
قد نحيت تلك الحُلى واستبدلت تلك الرسوم
وُتركت ويحك مفرداً لا أهل فيه ولا حميم
حيران تفزع للبكا لهفان تأنس بالغموم
حتى ينادى بالورى فتقوم أسرع ما تقوم
عريان مصطفق الحشا هيمان مجتمع الهموم
والناس قد رجفت بهم حرب هنالك عقيم
وبدت هناك سرائر قد كنت لها كتوم
ورأيت في محصولها ما شئت من خُسْرٍ وشوم
إن لم تجدُ بالعفوِ من يعفو عن الذنب العظيم

واعلم أنه كلما عظُم قدْر رَجُلٍ في الدنيا صُغر هناك وكلما كثر جاهه في الدنيا قلّ هناك إلّا من كان شعاره التقوى في الدنيا وكل ما تسمع به أو تراه من ملك جبار أو عزيز قّهار قد قادْ الأجناد وأكثر الأمداد ودوّخ البلاد وأذلَّ العباد فهو في ذلك اليوم كالذرة في التراب تطؤه الأقدام ويمحقه ذلك الزحام.

قال النبي ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقي ليس فيها معلم لأحد**»[(١)].

وقال ﷺ: «**يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر**»[(٢)].

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾. [إبراهيم: ٤٨].

وسُئِل النبي ﷺ: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ قال ﷺ: «**هم في الظلمة دون الجسر والجسر هو الصراط**»[(٣)].

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنهم على الصراط.

فتفكر في هذا المجتمع وهذا هو الهول الأشنع والخطب الأبشع وفيمن يحضره ويشهده ويعاينه ويبصره وكيف يقومون على أقدامهم ويشخصون بأبصارهم وأنت معهم في ضيق مقام وطول قيام فتفكر وأنت ترى الشمس قد كُوّرت فذهب ضوْؤها والنجوم قد طمست

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة ٢/٤٩٦ رقم ١١٤١
(٣) رواه مسلم (٣١٥).

فمُحي نُورها وزالت عن مواضعها وفُقِدت في مطالعها وانتثرت على من تحتها واشتبك الناس بعضهم في بعض وتداخل الخلق بعضهم في بعض فصاروا كالفراش المبثوث وقامت الملائكة على أرجاء السماء وأحاطت بالخلائق من كل الإرجاء والناس حفاةٌ عراةٌ غرلٌ كما خُلِقوا فيا له من يوم يختلط فيه الرجال مع النساء وقدْ أمِنوا أن ينظر بعضهم إلى بعض أو يحس بعضهم ببعض.

* وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال الرسول ﷺ: «**تحشرون حفاة عراة غرلا فقالت له زوجته أويرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانه** ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾»[1] [عبس: ٣٧].

وهذا الوعد قريب قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف، صنف مشاةٌ، وصنفٌ ركباناً، وصنف على وجوههم**»[2]، قيل يا رسول الله ﷺ: وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: «**إن الذي**

(١) رواه مسلم (٧٣٧٧).
(٢) رواه الطبراني.

أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك»[(١)].

وفي رواية مسلم: قال ﷺ: «**أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة**»[(٢)].

قال قتادة حين بلغه بلى وعزة ربي قال أبو حامد فإياك أن تنكر شيئاً من عجائب يوم القيامة لمخالفتها يوم الدنيا فأحضر رحمك الله في قلبك صورتك وأنت قد وقفت عارياً مكشوفاً ذليلًا مدحور متحيراً مبهوتاً منتظراً لما يجري عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاء «كما ينتظر ذلك غيرك من البشر».

❊ ❊ ❊

(١) رواه أحمد.
(٢) رواه مسلم (٧٢٦٥).

دنو الشمس من الناس يوم القيامة

عن المقداد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال قال النبي ﷺ: «**تُدنَى الشمسُ يومَ القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل قال سُليم بن عَامر: فوالله ما أدري ما يعني بالميل أمسافةُ الأرض أم الميلُ الذي تُكحل به العينُ قال فيكونُ الناسُ على قَدر أَعمالِهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمهُ العرقُ إلجاماً وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه**»(١).

فيه: يعني فمه.

في هذا الموقف العصيب والمنظر الرهيب والخلائق في حرِّهم وعرقهم وكربهم يكون هناك أناسٌ في الظل مستريحين لا ينالهُم شيء من ذلك هؤلاء أخبر عنهم ﷺ: بقوله: «**سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه، إمام عادل وشابٌ نشأ في عباد الله ورجل قلبُه معلق في المساجد**(٢)**، ورجل دعته امرأة ذات منصب**

---

(١) رواه مسلم (٧٣٨٥).

(٢) سمعت في المساجد لا المسارح والمقاهي ودور السينما والملاهي والأسواق.

وجمال فقال إني أخاف الله[١]**، ورجلٌ تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شمالهُ ما تنفقُ يمينُه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»**[٢].

تذكرَ النار والموت والقيامة والنفخ في الصور لم يبك من أجل مفارقة الفاحشة والمعصية بل خوفاً من الله تعالى هؤلاء في ذاك الظل الممدود وجاء عند مسلم قوله ﷺ: «**من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله اللهُ في ظله**»[٣].

وعن أبي الخير أنه سمع عقبة بن عامر يقول سمعت النبي ﷺ يقول: «**كلُ امرئٍ في ظل صدقته حتى يُفصل بين الناس**»[٤].

قال يزيد وكان أبو الخير لا يُخطئهُ يومٌ إلا تصدَّق فيه بشيء ولو كعكة أو بصلة.

فاجتهد واحرص وسارع وبادر لتكون من هؤلاء الأصناف السبعة.

---

(١) رجل تأتيه الفتنة فيهرب منها، ورجل يسافر لها ويبذل الأموال الطائلة للفاحشة والعار والشنار.

(٢) رواه مسلم (٢٤٢٧).

(٣) رواه مسلم (٧٧٠٤).

(٤) رواه أحمد ١/٥٤٨ رقم ٥٣٢ .

طول يوم القيامة: طول ذلك اليوم خمسين ألف سنة فيفرغون بفراغ اليوم ويفرغ اليوم بفراغهم. وليس هناك ليل إنما هو وقت واحد على صفة واحدة وهذا الذي يسمى يوماً إنما مقدار من ذلك الوقت يطوله الله عز وجل ما شاء ويقُصره ما شاء ويسمى ما شاء بما شاء.

قال الحسن: فما ظنك بقوم قاموا على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا فيها شربة حتى إذا انقطعت أعناقُهم عطشاً واحترقت أجوافهم جوعاً ثم انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آنية قد أنى[1] حرُها واشتد نضجها ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ﴾ [محمد: ١٥].

واعلم أن هذا اليوم يتلّونُ ألواناً ويستحيل حال الناس فيه أحوالًا فينبعثون من قبورهم ويُساقون فيه إلى محشرهم ومكان القضاء فيهم ويقفون ما شاء الله أن يقفوا شاخصة أبصارُهم إلى السماء مبهوتين سكارى حيارى من عظيم ما أصابهم وهول ما نزل بهم ثم يموج بعضهم في بعض ويدخل بعضهم في بعض ويمشون من

---

(١) نضج وبلغ مداه.

نبي إلى نبي يطلبون الشفاعة في الاستعجال والانفصال والتخلص من تلك الأهوال والأحوال المهولة العظيمة.

فمن الناس من يطول مقامه وحبسه إلى آخر اليوم ومنهم من يكون انفصاله في ذلك اليوم في مقدار يوم من أيام الدنيا وفي ساعة من ساعات أو فيما شاء الله من ذلك أو يكون رائحاً في ظل كسبه وعرش ربه ومنهم من يؤمر به إلى الجنة بغير حساب ولا عذاب.

نسأل الله العظيم برحمته ومنِّه أن يجعلنا منهم.



الخصومات ورد المظالم

عن عبد الله بن أنيس قال سمعت النبي ﷺ يقول: «**يُحشرُ الناس أو العباد وأومأ بيده إلى الشام حفاة عراة غرلا بهُما قلنا ما بُهما قال ليس معهم شيء فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُد ويسمعه من قرُب أنا الملكُ أنا الديَّان ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة قلنا: كيف وإنما نأتي الله حفاة عراة غرلًا؟ قال بالحسنات والسيئات**»(١).

قال أنس رضي الله عنه سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة فقال: «**أنا فاعل إن شاء الله قلت فأين أطلبك قال أول ما تطلبني عند الصراط قلت فإن لم ألقك على الصراط قال فاطلبني عند الميزان قلت فإن لم ألقك عند الميزان قال فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن**»(٢).

يُعرض الناسُ يومَ القيامة ثلاث عرضات فأمّا عرضتان فجدال ومعاذير وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في

---

(١) رواه أحمد، وحسنه الألباني.

(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني.

الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : ذكرتُ النارَ فبكيتُ فقال النبي ﷺ: «**ما يبكيك**» قلت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال ﷺ: «**أما في ثلاثةِ مواطن فلا يذكر أحدٌ أحداً عند الميزان حتى يعلم أيخفُ ميزانه أم يثقل وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابُه في يمينه أم في شماله أو من وراء ظهره وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم حتى يجوز**»(١) .

ذكر الصراط: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝٨٥ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٥-٨٦] فالناسُ من بعد هذه الأهوال يساقون إلى الصراط وهو جسرٌ ممدود على متن النار أحد من السيف وأدق من الشعر .﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١-٧٢].

وفي البعث بعد الموت نشرٌ — وصحائف وميزانُ قسطٍ طائشٍ أو مثَّقلُ
ونشرٌ يشيبُ الطفلُ من عُظم هوله — ومنه الجبال والراسيات تزلزلُ
ونارٌ تلظى في لظاها سلاسلٌ — يغل بها الفجارُ ثم يُسلسل
شرابٌ ذوي الإجرام فيها حميمُها — وزقومُها مطعومُهم حين يؤكلُ

---

(١) رواه الترمذي، وضعفه الألباني.

حـمـيـمٌ وغـسـاقٌ وآخـرُ مـثـله من المُهل يغلي في البطون ويُشعَلُ
يزيدُ هواناً من هواها ولم يزلْ إلى قعرها يروي دواماً وينزلُ
في ناره يبقى دواماً مُعّذبًا يصيح ثبوراً ويلهُ يتولولُ
عليها صراطٌ مدحضٌ ومزّلةٌ عليه البرايا في القيامة تُحملُ
وفيه كلاليبُ تعلق بالورى فهذا نجا منها وهذا مُخردلُ
فلا مجرمٌ يفديه ما يفتدى به وإن يعتذر يوماً فلا عذراً يُقبلُ
فهذا جزاء المجرمين على الردى وهذا الذي يوم القيامة يحصلُ
أعوذ بربي من لظى وعذابها ومن حال من يهوى بها يتجلجلُ
ومن حال من في زمهريرٍ معذبًا ومن هُوَ بالأغلالِ فيها مُكبّلُ

وفي رواية قال ﷺ: «**أما أهل النار الذين هم أهلُها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناسٌ أصابتهم النارُ بذنوبهم (أو قال بخطاياهم) فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً أُذن بالشفاعة** ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾»(١) [مريم: ٧١].

إذا مُدَّ الصراطُ على جحيم تصول على العصاة وتستطيل
فقومٌ في الجحيم لهم ثبورُ وقومُ في الجنان لهم مقيل
وبان الحقُ وانكشف المُغطىّ وطال الويلُ واتصل العويل

(١) رواه أحمد (٣/ ٥).

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢].

قال ﷺ: «**آخرُ من يدخلُ الجنة رجل فهو يمشي مرة (أي على الصراط) ويكبو مرة وتسفعه النار مرة فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال تبارك الذي نجاني منك لقد أعطاني اللهُ شيئًا ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين**»[١].

وذكر مسلم لما تزلف الجنة للمؤمنين فيأتون الأنبياءَ ليُستفتح لهم وكلهم يقول لست بصاحب ذلك فيأتون محمداً ﷺ فيقوم ويُؤذنُ له وتُرسلُ الأمانةُ والرحمُ فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق قلت بأبي أنت وأمي أي شيء كالبرق قال ألم ترون البرق كيف يمر ويرجعُ في طُرفةِ عين ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشدِ الرجال تجري بهم أعمالُهم ونبيُكم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم حتى تعجزَ أعمال العباد حتى يجيءُ الرجلُ لا يستطيع السير إلا زحفاً قال

(١) رواه مسلم.

وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة تأخذ من أُمرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعرّ جهنم لسبعون خريفاً.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ وذكر حديث الشفاعة قال: «**ويضربُ الصراطُ بين ظهراني جهنم فأكونُ أنا وأمتي أولُ من يُجيزُها ولا يتكلمُ يومئذٍ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلّم سلّم وفي جهنم كلاليبُ مثلُ شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدرُ عظمها إلا الله تخطفُ الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله ومنهم المجازى حتى يُنجّى**»[(١)].

قد سمعت رحمك الله بهذا الطريق الحرج والمسلك الشاق، والقنطرة المضطربة التي لا تثبت عليها الأقدامُ ولا تجوزُها الأوهامُ إلا قدم ثُبتت على التقوى والصراط أحدُ من السيف أدق من الشعرة دحضٌ مزلة[(٢)] وهو قد بلغ من الحرارة مما لا يعلمه إلا الله

(١) رواه مسلم.
(٢) يعني زلق لا تثبت عليه القدم.

كيف لا والنارُ تحته فما ظنُّك وقد حُملت عليه وكُلّفت المرور عليه وجهنم تحتك وقد ملأ زفيرُها أذنك ومنظرُها الهائل قلبك وعينك وأردت المرور فلم تقدرْ والنهوض فلم تستطع واضطرب بك اضطراباً والتهب ذلك السعيرُ تحتك التهاباً ولم تجد إلى النجاة سبيلا ولا على الخلاص باباً ولا ينهض بك إلا الذي سعيت ولا جرى بك إلا العمل الذي عملت والمركوب الذي في الدنيا ركبت فلتتخير الآن أي المراكب تركبُها وأي الأبوابُ تدخلُها وأي الطرق تأخذُ فيها وتسلكُها فهناك الزبانية والخطاطيف والكلاليب وهذا يمر وهذا يركض وهذا يزحف وهذا يسقط في النار وهذا يقول يا ليتني قدمت لحياتي ويا ليتني اتخذتُ مع الرسول سبيلا يا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلًا يا ليتني كنت ترابا يا ليت أمي لم تلدني يا ليتني كنت نسياً منسيًا، وهذا ينادي أمَّه وهذا ينادي أباه وكلٌ يقول نفسي نفسي. رحماك ربي في هذا الموقف المخوف العظيم.

أبت نفسي أن تتوب فما أحتيالي   إذا برز العباد لذي الجلال

ونصب الصراط لكي يجوزوا   فمنهم ممن يكب على الشمال

ومنهم من يسير لجنات عدن تـلقـاه الـعـرائـس بـالـغـوالـي
يـقـول لـه الـمـهـيـمـنُ يـا ولـي غفرتُ لك الذنوب فلا تبالي

❊ ❊ ❊

ذكر الحوض

عن أبي برزة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**حوضي ما بين أيلة وصنعاء عرضه كطول يغت**[١]**، فيه ميزابان من الجنة أحدهما من ورق والآخر من ذهب وهو أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج، أباريقه كعدد نجوم السماء من شرب منه لم يظمأ حتى يدخل الجنة**»[٢].

قال ﷺ: «**أنا فرطكم على الحوض وليُرفعَّنَ رجالٌ منكم ثمّ ليُختَلجُنَ دوني فأقول يا رب اصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[٣].

قال ﷺ: «**إنا بين أيديكم فَرَطٌ وأنا عليكم شهيدٌ وإني لأنظرُ إليه من مقامي هذا وإني لستُ أخشى عليكم أن تشركوا ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها فيه وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم**»[٤].

---

(١) قال في النهاية: يغت فيه ميزابان..: أي يدفقان الماء فيه دفقا دائماً متتابعا. اهـ.

(٢) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه البخاري (٦٦٤٢).

(٤) رواه البخاري ٢/ ٢٩٢، ومسلم ٨/ ٢١٢ .

والذين يشربون من الحوض اللهم اجعلنا منهم:

أولا: المتّبعون للنبي ﷺ وصحابته والسلف الصالح في العقيدة والعبادة وغيرها من أمور الدين.

ثانياً: لا يشركون مع الله أحداً.

ثالثاً: يؤمنون بصفات الله كما جاءت من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل.

رابعاً: لا يقدمون قولًا على قول للنبي ﷺ.

المساءلة والتقرير والمحاسبة والقصاص:

قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٧٩].

قال ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن علمه ما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه**»(١).

---

(١) رواه الترمذي، وصححه الألباني.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من حوسب يوم القيامة عُذّب فقلت أليس قد قال الله تعالى فسوف يحاسب حساباً يسيراً قال ليس ذلك الحساب وإنما ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عُذب**»(١).

وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه لما نزلت ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قال الزبير يا رسول الله أتكرر علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا قال نعم قال إن الأمر إذن لشديد(٢).

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**»(٣).

وقال ﷺ: «**لتؤدُن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى**

---

(١) رواه البخاري (١/ ٥١، رقم ١٠٣).
(٢) حديث حسن رواه الترمذي.
(٣) رواه مسلم (٨/ ١٨).

يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»(١).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: رأى النبي ﷺ شاتين تنتطحان فقال يا أبا ذر هل تدري فيم تنتطحان قلت: لا أدري قال ﷺ: «**لكن الله يدري ويقضي بينهما يوم القيامة**» وقال ﷺ: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحللها منه فإنه ليس ثمّ دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه**»(٢).

قال الله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ﴾ [النبأ: ٣٨-٣٩] إلى ﴿تُرَٰبَۢا﴾ فتفكر الآن وانظر بأي قدم تقف في ذلك المقام وبأي أذن تسمع ذلك الكلام فما شئت من قلب يُخلع وكبدٍ تصّدع ولسان يتلجلج وأحشاء تتموج ونفس تريد أن تخرج فلا تُترك أن تُخرج فانظر ما أشأم تلك الأرباح التي ربحتها وأخسرتك المعاملات التي عاملت بها ذهبت المسّرات وبقيت الحسَرات وذهب فرحُ الشهوات وبقيت تبعاتُها وانظر الآن بكم تفتدي من

(١) رواه مسلم (٨/ ١٨).
(٢) رواه البخاري (٥/ ٢٣٩٤).

ذلك الموقف وبكم تتخلص من ذلك السؤال.

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١-٣].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧-٢٨].

ودعوى الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين اللهم نفسي نفسي اللهم نفسي نفسي. كلُ نفسٍ أُفردت لشأنها وُتركت لِمَا بها وظن كلُ إنسان أنه هو المأخوذ وأنه هو المقصود وذهلت العقول وطاشت الألبابُ وتحيرت الأذهانُ وفر المرءُ من أخيه وأمهِ وأبيه وصاحبته وبنيه واشتغل بشأنه الذي يغنيه وسئل عن جميع أمره سره وجهره دقيقه وجليله كثيره وقِليله وسئل عن أعضائه عضواً عضواً وجارحة جارحة كم عصى بها وكم فعل بها وكم ظلم بها وكم خان بها فظهرت القبائحُ وكثرت الفضائحُ وبدت المخازي واشتهرت المساوي وتركك

الأهلُ والأقربون ولم ينفْعك مال ولا بنون.

واعلم أنه بقدر ما تيسر على أخيك المسلم في الدنيا يُيسر عليك في ذلك اليوم وبحسب ما تلتمس له العذرَ في الدنيا يُلتمسُ لك العذرُ في ذلك اليوم قال ﷺ : «**من يعفُو يعفو الله عنه**».

مثّل لقلبك أيها المغرور يوم القيامةِ والسماءُ تمورُ
قد كوُرّت شمسُ النهار وأُضعِفت حراً على رؤوس العباد تفور
وإذا الجبالُ تعلقت بأصولها فرأيتها مثل السحاب تسيرُ
وإذا النجومُ تساقطت وتناثرت وتبدلت بعد الضياء كدور
وإذا العشار تعطلت عن أهلها وخلت الديارُ فما بها معمور
وإذا الوحوشُ لدى القيامة أُحضرت وتقول للأملاك أين نسيرُ
فيقال سيروا تشهدون فضائحاً وعجائباً قد أحضرت وأمورُ
وإذا الجنينُ بأمّهِ متعلقٌ خوف الحساب وقلبُه مذعورُ
هذا بلا ذنبٍ يخاف لهوله كيف المقيمُ على الذنوب دهورُ

* * *

سعة رحمة الله

حدّث عن الجود وعن فيضه ... فالأمر مبني على الجود
واذكرْ لنا بعض أعاجيبه ... فلست تحصيه بتعديد
هيهات ما جودُ مليكِ الورى ... وخالقِ الخلقِ بمحْدود
حدّثْ عن البحر وما البحر ... في بعض أياديه مجدود

من الذي أفاض هذه البركات وأتى بهذه الخيرات ومنّ ذا الذي يستخرج من ظلمات الكفر ويستنقذ من غمرات الجهل ويغفرُ الذنوبَ ويسترُ العيوبَ وينفسُ عن المكروب ويجيبُ المضطرَ إذا دعاه ولا يبالي أطاعه عبده أم عصاه من هو إلا أرحمُ الراحمين وأكرم الأكرمين رب العالمين إله الأولين والآخرين لا إله إلا هو الملك الحق المبين.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ: «**جعل اللهُ الرحمةَ مائةَ جزءٍ فأمسك عنده تسعةً وتسعين وأنزل في الأرض جزءاً واحداً من ذلك الجزء يتراحم الخلائقُ حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشيةَ أن تصيبه وفي لفظ كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة**»(١).

(١) رواه البخاري (١٠/ ٣٦٢)، ومسلم (٢٧٥٢).

وصف الجنة

قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ﴾ [محمد: ١٥]، ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المرسلات: ٤١-٤٣] ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ٢١]

وقال ﷺ: «**موضع سوطِ أحدِكم في الجنة خيرٌ من الدنيا وما عليها**»(١).

وقال ﷺ: «**لو أن ما يقلُ ظفرٍ مما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السماء والأرض ولو أن رجلًا من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمسُ ضوء النجوم**»(٢).

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦١- ٦٣].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي (٢٥٤١) في صفحة الجنة.

قال ﷺ قال الله تعالى: «**أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر مصداق ذلك في كتاب الله** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾»[١].

قال ﷺ: «**إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجةً ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة والعرش من فوقها وإذا سألتم الله تبارك وتعالى فسألوه الفردوس**»[٢].

وقال النبي ﷺ لأم حارثة: «**أهبلتِ أجنةٌ واحدة هي إنها جنانٌ كثيرة وإنه لفي جنة الفردوس**»[٣].

وعن عتبة بن غزوان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لقد ذُكِر لنا أن ما بين المصراعين في الجنة مسيرةُ أربعين سنة وليأتين عليه يومٌ وإنه لكظيظ لمن الزحام وقال ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادي منادٍ أن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً وإن**

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٧٥) ح (٢٥٣١).
(٣) المسند الجامع.

لكم أن تصّحُوا فلا تسقموا وإن لكم أن تَشُّبوا فلا تهرموا أبداً وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا»[١].

يا غافلًا عما خلقت له انتبهْ جدّ الرحيلُ ولست باليقظان
سار الرفاق وخلفوك مع الأُلى قنعوا بذا الحظِ الخسيس الداني
ورأيت أكثر من ترى متخلفاً فتبعتهم فرضيت بالحرمان
منتّك نفسُك باللحوق مع القعودِ عن المسيرِ وراحة الأبدان
ولسوف تعلمُ حين ينكشف الغِطا ماذا صنعت وكنت ذا إمكان

والله سماها الجنة ودار السلام ودار الخلد ودار المقامة وجنة المقامة وجنة المأوى وجنات عدن ودار الحيَوَان والفردوس وجنات النعيم والمقام الأمين.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إن في الجنة نهراً بطول بالجنة حافتاه العذارى قيام متقابلات يغنين أصوات حتى يسمعها الخلائق ما يرون في الجنة لذة مثلها قال عطاء السلمي لمالك بن دينار شوّقنا يا عطاء فقال إن في الجنة حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها لولا أن الله تعالى كتبَ على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا من حسنها فلم يزل عطاءُ كمداً من قول مالك حتى مات .

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إن في الجنة حوراء يقال لها

---

(١) رواه مسلم .

اللعبة كلُ حور الجنة يعجبن بها يضربن بأيديهن على كتفها ويقلن طوبى لكِ يا لُعبه لو يعلم الطالبون لكِ لجدَّوا في طلبك بين عينيها مكتوب من كان يبتغي أن يكون له مثلي فليعمل برضاء ربي.

فهل مشمرٍ للجنة فهي ورب الكعبة ريحانةٌ تهتز ونهرٌ مطرّد وقصر مشيد وزوجة حسناء لا تموت في دار حُبور وسرور ونعيم في مقام الأبد ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ﴾ [النساء: ٥٧].



طعامُ أهل الجنة

سُئِل النبي ﷺ عن أول أشراط الساعة وأول طعام يأكله أهل الجنة فقال ﷺ: «**وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت**»(١).

قال تعالى ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٥ - ٤٦].

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الدخان: ٥٧].

(١) رواه البخاري (٦/ ٢٦١).

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا﴾ [النبأ: ٣١ - ٣٢].

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١١].

وقال ﷺ: «**خلق الله تبارك وتعالى الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الأذفر وقال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون فقال الملائكة طوبى لك منزل الملوك**»(١) وفي رواية أبي هريرة: «**وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم وفي رواية أبي سعيد ترابها درمكة بيضاء مسك خالص**»(٢).

وقال النبي ﷺ: «**قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر مصداق ذلك في كتاب الله تعالى** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾»(٣) [السجدة: ١٧].

وأيضاً قال ﷺ: «**وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها**

---

(١) قال الألباني في صحيح الترغيب: رواه الطبراني والبزار واللفظ له مرفوعاً وموقوفا، ثم قال: ولكن وقفه هو الأصح المشهور.

(٢) رواه الترمذي (٢٥٢٨) في صفة الجنة.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط.

مائة عام لا يقطعها اقرؤوا إن شئتم وظل ممدود وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها اقرؤوا إن شئتم ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ﴾»[١].

وفي رواية إن في الجنة شجرة يسير الراكبُ الجوادُ المضمّرُ السريعُ مائة عامٍ لا يقطعُها»[٢].

وقال ﷺ: «**ما في الجنة شجرةٌ إلا وساقُها من ذهب**»[٣].

وعند مسلم عن النبي ﷺ قال: «**إن الله** عز وجل **يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول أفلا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون يا رب وأيُ شيء أفضلُ من ذلك فيقولُ أحلُ عليكم رضواني فلا أسخطُ عليكم بعده أبداً**»[٤].

وقال ﷺ: «**إن أول زُمرةٍ تدخلُ الجنة على صورة القمرِ ليلة البدر والتي تليها على أضوء كوكب دُري في السماء**

(١) رواه الترمذي.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) رواه الترمذي.

لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يُرى مخُ سوقِهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب»[١].

وقال ﷺ: «**يُبعث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جرداً مرداً مكحّلين ثم يُذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابُهم ولا يفنى شبابُهم**»[٢].

وفي رواية عند الشيخين قوله ﷺ: «**إن للمؤمن في الجنة خيمةً من لؤلؤةٍ واحدةٍ مجوفةٍ طولُها ستون ميلًا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمنُ فلا يرى بعضُهم بعضاً**»[٣].

(ورواية عرضها ستون ميلًا) وعند الترمذي قوله ﷺ: «**إن في الجنة لغرفاً يُرى ظاهرها من باطُنها وباطنها من ظاهرها**» قيل لمن هي يا رسول الله فقال ﷺ: «**قال لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وآدام الصيام وصلى الليل والناس نيام**»[٤].

آخر آهل الجنة: وقال ﷺ: «**إني لأعرفُ آخرُ أهلِ الجنة خروجاً من النار، رجل يخرج منها زحفاً فيقال له**

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم في صفة الجنة ٢٨٣٥

(٣) رواه الشيخان.

(٤) أخرجه الترمذي.

انطلق فادخل الجنة قال فيذهب فيدخل الجنةِ فيجد الناسَ قد أخذوا المنازلَ فيقال له أتذكرُ الزمانَ الذي كنت فيه فيقول نعم فيقال له تمن فيتمنى فيقال له: لك الذي تمنيت وعشرةُ أضعافِ الدنيا فيقول أتسخر بي وأنت الملك قال فلقد رأيت رسولَ الله ﷺ يضحك حتى بدت نواجذُه ورواية فيأتيها، ذلك أدنى أهل الجنة منزلًا»[1].

وقال ﷺ: «**يُعطى المؤمن في الجنة قوةَ كذا وكذا من الجماع قالوا يا رسول الله ﷺ أو يطيقُ ذلك قال يُعطى قوةُ مائةٍ**»[2].

ورواية أبي سعيد: «**إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكاراً**»[3].

وقال ﷺ: «**إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الأنهارُ بعد**»[4].

وسئل ﷺ: «**أينامُ أهل الجنة قال لا النومُ أخو**

(١) رواه مسلم (١٨٦) في الإيمان.
(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٣٩) في صفة الجنة.
(٣) أخرجه الترمذي.
(٤) الترمذي (٢٥٧٤) في صفة الجنة.

الموتِ»[(١)]. وزاد الدارقطني والجنةُ لا موت فيها.

لذة النظر إلى الله عَزَّوَجَلَّ وعن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قال: «**إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ نادى مناد: إن لكم عند الله موعداً قالوا ألم يبّيض وجوهنا وينجينا من النار ويدخلنا الجنة قالوا بلى فيكشف الحجابُ قال فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى**»[(٢)].

ولله كم من خيرّةٍ إن تبسمت أضاء له نورٌ من الفجر أعظمُ
فيا لذة الأبصار إن هي أقبلت ويا لذّة الأسماع حين تكلّمُ
ويا خجلة الغصن الرطيبِ إذا انثنت ويا خجلة الفجرين حين تبسّمُ
ولا سيّما في لثمها عند ضمها وقد صارَ منها تحت جيدك معصمُ
فإن كنت ذا قلب عليك بحبِّها فلم يبق إلا وصلُها لك مرهمُ
تراه إذا أبدت له حُسنَ وجهِها يلذ به قبل الوصالِ وينعمُ
تفكّه فيها العينُ عند احتلائها فواكه شتّى طلعُها ليس يعدمُ
عناقيدُ من كَرَم وتفاحُ جنةٍ ورمانُ أغصانٍ به القلب مُغرَمُ
وللورد ما قد أُلبسته خدودُها وللخمر ما قد ضمّه الريق والفمُ

(١) رواه الطبراني والبزار.
(٢) مسند أحمد حديث رقم (١٩٤٥٠).

تقسّم منها الحسنُ في جمع واحدٍ ... فيا عجباً من واحدٍ يتقسّم
تُذّكرُ بالرحمن من هو ناظرٌ ... فينطق بالتسبيح لا يتلعثم
إذا قابلت جيش الهموم بوجهها ... تولى على أعقابه الجيشُ يُهزم
فيا خاطب الحسناءِ إن كنت باغياً ... فهذا زمانُ المهرِ فهو المقدمُ
وكن مبغضاً للخائنات لحبِّها ... فتحظى بها من دونهن وتنعم
وصُمْ يومك الأدنى لعلك في غدٍ ... تفوزُ بعيد الفِطر والناسُ صُوّم
وأقدم ولا تقنع بعيش منغّصٍ ... فما فاز باللذات من ليس يقدم
وإن ضاقت عليك الدنيا بأسرها ... ولم يك فيها منزلٌ لك يعلم
فحيَّ على جنات عدنٍ فإنها ... منازلُنا الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبيُ العدوِ فهل ترى ... نعودُ إلى أوطاننا ونُسَّلم
وحيّ على يوم المزيد الذي ... به زيارةُ رب العرشِ فاليومَ موسمُ
وحيّ على وادٍ هنالك أفيحٍ ... وتربته من إذفِر المسك أعظمُ
فبينما هم في عيشهم وسرورهم ... وأرزاقهم تُجرى عليهم وتُقسم
إذا هُمْ بنورٍ ساطعٍ أشرقت له ... بأقطارها الجناتُ لا يتوهم
تجلّى لهم ربُ السماواتِ جهرةً ... فيضحكُ فوق العرش ثم يكلّم
سلامٌ عليكم يسمعون جميعهَم ... بآذانهم تسليمَهُ إذ يُسّلِمُ
يقول سلوني ما اشتهيتم فكلُ ... ما تريدون عندي إنني أنا أرحمُ
فقالوا جميعاً نسألُك الرضا ... فأنت الذي تُولي الجميع وترحمُ

فيعطيهم هذا ويُشهِد جمعَهم عليه تعالى الله فالله أكرم
فيا بائعاً هذا ببخسٍ مُعجّل كأنك لا تدري بلى سوف تعلم
فإن كنت لا تدري فتلك مصيبةٌ وإن كنت تدري فالمصيبةُ أعظمُ

❊ ❊ ❊

صفة النار وأهلها وما أعد الله لهم من العذاب

قال ﷺ : «**أريت النار فإذا أكثرُ أهلها النساء يكفرن قيل أيكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيتُ منك خيراً قط**»(١) .

قال ﷺ: «**ألا أخبركم بأهل النار**» قالوا بلى قال ﷺ: «**كلُ عُتُلٍّ جواظ**(٢) **مستكبر**». وفي رواية: «**كلُ جواظٍ زنيم متكبر**»(٣).

قال ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمُهم اللهُ يومَ القيامةِ ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**»(٤).

قالها ثلاث مرات قال أبو ذر رضي الله عنه خابوا وخسروا من هم يا رسول الله ﷺ قال المسبلُ والمنّان والمُنفِّق سلعته بالحلف الكذب ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩].

---

(١) رواه البخاري.
(٢) العتل الجافي الفظ الغليظ والجواظ الجموع المنوع والمستكبر هو المتكبر.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه مسلم.

وفي رواية «**المنانُ هو الذي لا يُعطي شيئًا إلا منّه والمُنفِّق سلعته بالحلف الفاجر والمسبلُ إزاره**»(١).

قال ﷺ: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها في النار سبعين خريفاً**»(٢).

قال ﷺ: «**لو أن حجراً مثل سبع خلفات أُلقي عن شفير جهنم هوى فيها سبعين خريفاً لا يبلغ قعرُها**»(٣).

﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ٨-٩].

لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤١].

والغواش: فراشٌ من النار من تحتهم ومن فوقهم أغطية من نار.

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج: ١٩].

﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠] القطران: القار أو الزفت لسرعة اشتعال النار فيه مع نتن رائحته ووحشة لونه

---

(١) رواه مسلم.

(٢) مختصر صحيح مسلم (١٩٧٧).

(٣) الطبراني في الأوسط والكبير وصححه الألباني.

قال ﷺ: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب**»[١].

قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَـٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا**﴾ [النساء: ٥٦].

﴿**فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ**﴾ [الحج: ١٩].

﴿**تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَـٰلِحُونَ**﴾ [المؤمنون: ١٠٤].

﴿**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ**﴾ [الحاقة: ٣٠- ٣٢].

﴿**إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ١٢ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا**﴾ [المزمل: ١٢- ١٣].

وذكر مسلم عن النبي ﷺ: «**يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»[٢].

وقال ﷺ: «**ناركم هذه التي يُوقد ابنُ آدم جزءٌ من**

(١) رواه مسلم وأحمد.

(٢) يعني: (٤٩٠٠) مليون ملك، الحديث رواه مسلم (٢٨٤٢).

سبعين جزءاً من حَرِّ جهنم»[١] قالوا يا رسول الله والله إن كانت لكافية قال فإنها فُضلّت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها.

- ولما سمع الصحابة وجبة قال لهم ﷺ: «**أتدرون ما هذا قالوا اللهُ ورسولهُ أعلم قال هذا حجر رُمي به في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوى في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها**»[٢].

- وقال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

فتردهم ملائكة العذاب بمقامع الحديد إلى قعر جهنم ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢١- ٢٢].

يروى أن لهب النار يأتيهم حتى يطيروا كما يطير الشرر فإذا رفعهم أشرفوا على الجنة وبينهم حجاب ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ﴾ [الأعراف: ٤٤].

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) صحيح مسلم.

﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الاعراف: ٥٠].

قال ﷺ: «**يخرج عُنُق من النار يومَ القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول إني وكلت بثلاثة: بمن جعل مع الله إلهاً آخر وبكل جبار عنيد وبالمصورين**»[(١)].

ومن حديث مسلم قال ﷺ: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغُ في النار صبغةً ثم يقال له يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط هل مرّ بك نعيمٌ قط فيقول لا والله يا رب**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**لو كان في المسجد مائة ألفٍ أو يزيدون ثم تنفس رجلٌ من النار لأحرقهم**»[(٣)].

وقال ﷺ: «**ضرسُ الكافر أو نابُ الكافر مثلُ أحد وغلظُ جلده مسيرةُ ثلاث**»[(٤)].

وقال ﷺ: «**ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة**

---

(١) رواه الترمذي في صفة جهنم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه البراز وابن حجر بلفظ قرب منه في المطالب العالية
(٤) رواه مسلم والترمذي.

أيام للراكب المسرع»[١].

وقال ﷺ: «**إن غلظ جلد الكافرِ اثنان وأربعون ذراعاً وإن ضرسه مثل أُحد وإن مجلسه في جهنم كما بين مكة والمدينة**»[٢].

وليس لهم دعاء يستجاب نعوذ بالله من ذلك، فينادون مالكاً ﴿يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

وذكر ﷺ عمَّه أبا طالب: فقال ﷺ: «**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه**»[٣].

وذكر ﷺ: «**إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغُه**»[٤].

وقال ﷺ: «**إن منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه إلى حجزته ومنهم من تأخذه إلى عنقه**»[٥].

---

(١) رواه مسلم والترمذي.
(٢) رواه مسلم والترمذي.
(٣) رواه الشيخان.
(٤) رواه البخاري ومسلم.
(٥) عند مسلم وأحمد.

يوم تغلّق عليهم أبواب النار فهم فيها خالدون فلا تسمع إلا البكاء والصراخ والعويل نسأل الله العافية والسلامة:

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

قال ﷺ في حديث ذبح الموت: «**فيقولون هؤلاء وهؤلاء قد عرفناه هو الموت الذي وُكّل بنا فيضجع فيذبح ذبحاً على السور ثم يقال يا أهل الجنة خلود لا موت ويا أهل النار خلود ولا موت ورواية فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم**»(١).

يا عبد الله إن الأمر جد إنه لقول فصل وما هو بالهزل، إنها نارٌ غمٌ قرارها، مظلمةٌ أقطارُها، حاميةٌ قدورُها، عقابُها عميم، وعذابُها أليم، وبلاؤها شديد، وقعرُها بعيد، سلاسل وأغلالُ مقامع وأنكال زمانُهم ليلٌ حالك وضجيجُهم ضجيج هالك يصطرخون فيها فلا يجيبُهم مالك مقامعُ الحديد تهشمُ جباههم ويتفجر الصديد من أفواههم وينقطع العطشُ من أكبادهم وتسيل على الخدود أحداقهم لهب النار سار في بواطن أعضائهم وحيات

(١) رواه البخاري.

الهاوية وعقاربها تأخذُ بأشفارهم نعوذ بالله أن نكون من قوم لباسهم نار ومهادهم نار ولحفهم من نار ومساكنهم في النار وهم والعياذ بالله في شر دارٍ:

فيها غلاظ شداد من ملائكة   قلوبهُم شدة أقسى من الحجر
لهم مقامع للتعذيب مرصدة   وكل كسر لديهم غير منجبر
سوداء مظلمة شعثاء موحشة   دهماء محرقة لواحِةٌ البشرَ
يا ويلهم تحرقُ النيران أعظمهم   فالموت شهوتهم من شدة الضجر
ضَجُوا وصاحوا زمانا ليس ينفعهم   دعاء داع ولا تسليم مصطبر
وكل يوم لهم في طول مدتهم   نزع شديد من التعذيب في سقر

مرّ ابن مسعود على الذين ينفخون في الكير فسقط مغشياً عليه ورواية فقام ينظر إليه ويبكي.

ومرَّ الربيع بن خثيم الذي قال له ابن مسعود لو رآك النبي ﷺ لأحبك مرّ بالحدادين فنظر إلى النار فخرّ مغشياً عليه وكان حممة الدوسي وهرم بن حيّان إذا أصبحا غديا إلى أكورة الحدادين فينظران إلى الحديد كيف ينفخ فيقفان ويبكيان ويستجيران من النار.

وكان الأحنف بن قيس يضع إصبعه على المصباح ثم يقول حس حس ثم يقول يا حُنَيف ما حملك على ما

صنعت يوم كذا؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟

وكان كثير من الصالحين يذكر النارَ وأنواعَ عذابها برؤية ما يشبهه بها في الدنيا أو يذكره بها كرؤية البحر وأمواجه والرؤوس المشوية وبكاء الأطفال وفي الحر والبرد وعند الطعام والشراب وكان شداد بن أوس إذا أوى إلى فراشه كأنه حبة على مقلاة فيقول اللهم إن ذكر جهنم لا يدعني أن أنام فيقوم إلى مصلاه.

وطاووس يفترشُ فراشَه ثم يضطجعُ عليه فيتقلى كما تقلى الحبة على المقلاة ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول طيّر جهنم نوم العابدين.

وكان الثوري ينام أول الليل ثم ينتفضُ فزعاً مرعوباً ينادي النار النار شغلني ذكرُ النار عن النوم والشهوات ثم يتوضأ ويقول اللهم إنك عالمٌ بحاجتي غير مُعَّلم وما أطلبُ إلا فكاك رقبتي من النار.

* * *

قال ابن المبارك:

إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهو ركوع

أطار الخوفُ نومهم فقاموا وأهلُ الأمن في الدنيا هجوع

قيل لسعيد بن جبير بلغني أنك لم تضحك قال كيف أضحك وجهّنم قد سعّرت والأغلال قد نصبت والزبانية قد أعدت.

وكان ﷺ لا يُرى ضاحكاً ليس إلا أن يبتسم.

وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيراً قالوا يا رسول الله وما رأيت قال الجنة والنار**»[1].

وعن محمد بن المنكدر قال: لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة من أماكنها فلمّا خلق بنو آدم عادت.

أبواب جهنم: وأعاذنا الله منها لها سبعةُ أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم قال عكرمة لها سبعةُ أطباق.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٨] قال ابن عبد الله عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أطبقت عليهم

(١) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

النار فبئس القوم بعد تلك الكلمة وإن كان إلا الزفير والشهيق.

وعن ابن مسعود أطبقت عليهم فلم يخرج منهم أحد.

قال أبو عمران الجوني: أوثقوا بالحديد ثم أُمر بهم إلى جهنم التي لا تبيد ثم أوصدها عليهم ملائكةُ رب العبيد فلا والله لا تستقر أقدامُهم على قرار أبداً ولا ينظرون فيها إلى أديم سماء أبداً ولا والله لا تلتقي جفونُ أعينهم على غمض نوم أبداً ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبداً.

وقال بعض السلف ألبسوا النضيج من النحاس ومُنعوا خروجَ الأنفاس فالأنفاس في أجوافهم تتردد والنيران على أبدانهم توقد قد أطبقت عليهم الأبواب وغضب عليهم رب الأرباب نسألُ الله العافية والرحمة والنجاة من النار.

أما سمعت بأهل النار في النار وعن مقاساة ما يلقون في النار
أما سمعت بأكبادٍ لهم صُدّعت خوفاً من النار قدْ ذابت على النار
أما سمعت بأغلال تناط بهم فيسحبون بها سحباً على النار
أما سمعت بضيق في مجالسهم وفي الفرار ولا فرار من النار
أما سمعت بحيّات تدبُ بها إليهم خُلِقت من خالص النار
أما سمعت بأنفاس لهم حُبست عن التنفس من حرارة النار
أما سمعت بأجساد لهم نضجت من العذاب ومن غلي على النار

أما سمعت بما يكلفون به   من ارتقاء جبال النار في النار
حتى إذا ما علوا على شواهقها   صُبوا بعنف إلى أسافل النار
أما سمعت بزقوم يُسّوغه   ماء صديد ولا تسويغ في النار
يُسقون منه كؤوساً مُلئت سقماً   ترمي بأمعائهم رمياً على النار
يشوي الوجوه وجوها ألبُست ظلماً   بئس الشراب شراب ساكن النار
ولا ينامون إن طاف المنام بهم   ولا منام لأهل النار في النار
إن يستقيلوا فلا تُقال عثرتهم   أو يستغيثوا فلا غياث في النار
وإن أرادوا خروجاً رُدّ خارجُهم   بمقمع النار مدحوراً في النار
فهم إلى النار مدفوعون بالنار   وهم من النار يُهرعون للنار
ما أن يخفف عنهم من عذابهم   ولا تفتّرُ عنهم سَورُة النار
فهذه صَدَعَت أكبادُ سامِعها   من ذوي الحجى من التخليد في النار
ولو يكون إلى وقت عذابهم   في النار هوّن ذاكم لفحة النار
يا إلهي ومن أحكامُه سبقت   في الفرقتين من الجناتِ والنار
رحماك ربي في ضعفي وفي ضعتي   فما وَجودِك لي صبر على النار
ولا على حر شمس إن برزتُ لها   فكيف أصبر يا مولاي للنار
فإن تغمدني عفو وثقتُ به   منكم وإلا فإني طعمة النار

* * *

قال ﷺ: «**لا يلجُ النارَ رجلٌ بكى من خشية الله حتى يعود اللبنُ إلى الضرع ولا يجتمعُ غبارٌ في سبيل الله ودخانُ جهنم**»(١).

فقال ﷺ: «**عينان لا تمسهما النارُ عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله**»(٢).

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ونعوذ بك من النار وما قرّب إليها من قول وعمل بدأنا الرحلة ونهايتها وأسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يكتب لنا حسن الخاتمة وأن نلتقي جميعاً في دار السلام مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا.

كتبه عادل بن عباس غفر الله له ولوالديه وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات فما كان من زلل فمن نفسي المقصرة المذنبة وما كان من صواب فمن الله وحده، وما بكم من نعمةٍ فمن الله. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

❋ ❋ ❋

(١) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه.

(٢) رواه الترمذي.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

تم الصف والإخراج
بشركة غراس للطباعة
هاتف: ٢٤٨١٩٠٣٧ - فاكس: ٢٤٨٣٨٤٩٥

